



قصيرة

رواية قصيرة

رواية قصيرة

رواية

مالدينا

تبحث في قضية الضحية «راندا بنجامين»

نعمة الخالد

منشورات الهاقة

مالدينا

تبحث في قضية الضحية "راندا بنجامين"
"رواية في الخيال العلمي"

إعداد وتأليف:

نعمة الخالد



© جميع الحقوق محفوظة لدى منشورات الواحة.
عنوان الكتيب: مالدينا. تأليف: نعمة الخالد.
نوع الكتاب: رواية قصيرة. عدد الصفحات: 92 صفحة.
الناشر الإلكتروني: منشورات الواحة.
الرقم الدولي EBIN: 38-08-1-230722

لمتابعة جديد منشورات الواحة:

واتس: 00967779284583

إنستقرام: manshurat_alwaha تيليجرام: [9dWSGDis.gd/](https://t.me/9dWSGDis.gd)

يسمح بنشر محتوى هذا الكتاب بأي شكل من أشكال النشر الإلكتروني فقط مع تضمين وسم: (#مالدينا).
ولا يجوز اقتصاص أي جزء من هذا الكتاب بهدف إهدار حقوق الملكية الفكرية أو إعادة إنتاجه بشكل مادي أو معنوي إلا بموافقة المؤلف.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي منشورات الواحة

منشورات الواحة

مدخل

دعنا لا نستعجل كثيرا فقد
نجد المدخل والمخرج معاً.

شكر وتقدير

يمرُّ الإنسان في مراحل متعددة من حياته على مستوى مختلف الأصعدة العلميّة والعملية، ويجد في كل مرحلة مصاعبٍ وعقبات، ولكن طريقه أيضاً لا يخلو ممن كان لهم الفضل في تخطيها عن طريق التوجُّه، التعلُّم، الوعي، فالانطلاقة، هناك أشخاص دفعونا للاستمرار والتحدي لأنهم لم يؤمنوا بخطواتنا وظنوا بأنهم هدمونا، ولكننا تحدّينا بل زادنا أكثر دافعية لتحقيق ما توقعوا أننا لن نحققه، وهناك أشخاص عظماء لا يمكننا إيفاءهم فضلهم لو ظلينا ننمّق العبارات ليلاً نهاراً ومن المُشرف أن أذكرهم بأسمائهم في أول باكورة أعمالي الأدبية في كتابة الخيال العلمي، كالمعلمين الذين علمونا أولاً كيف نتحدّى الواقع رغم الصعاب، فقد اغتربوا عن أهلهم، وعانوا كثيراً لينشروا العلم ويصنعوا أجيالاً لا تُقهر تحت ظلّ الركام الذي تعيشه البلاد، أقدم شكري وامتناني إلى أفضل أساتذتي في المدرسة الذين علمونا دروساً كثيرة عن الحياة قبل الكتب، والذين لولاهم لما استطعت نحت هذه الأحرف وصياغة الكلمات مطلقاً، منهم: (أ.فهد الشراعي "رحمه الله"، أ.رشيد القدسي، أ.محمد هزّاع، أ. فيصل المخلافي، أ.مُعين النّهمي، أ. عبد الرؤوف الكناني، أ.خليل هزّاع، أ.سيدة القمراء) إنهم ليسوا الوحيدون الذين كانوا

"مالدينا"

أساتذة لنعمة يوماً مّا، ولكنهم الأكثر بذلاً وعطاءً وتشجيعاً، وكنت أرى جيداً رغبتهم في دفعنا للتعلم والنهضة ببلادنا، ولم يكونوا يمارسون التعليم كمهنة فقط، بل كواجب يفترض عليهم القيام به لرفي أبناء بلدهم.

وأرفع قبعة الإجلال، ثم أنحي احتراماً وثناءً لمعلمتي في تحفيظ القرآن الكريم (أ. أفراح رشيد) و (أ. حدود محمد) لهما جلّ حُبي وتقديري.

ولن أنسى فضل أستاذ الإنجليزية العظيم (أ. إبراهيم الحريبي) حين درست دبلوم الإنجليزية بعد الثانوية، والذي كان يكرر عبارته لي على الدوام: (I'm proud of you) وبفضله بعد فضل الله كانت هناك انطلاقة في تعلم مهارة جديدة كمهارة التحدث بالإنجليزية بلهجتها البريطانية والأمريكية.

هناك دكاترة كان لهم شأن عظيم أيضاً أثناء دراستي في تخصص (مساعد طبيب) منهم: (د. جزيل الحاتمي، د. إبراهيم عثمان، د. أكرم جوخب، د. حمير، د. رزق الفقيه، د. عبد الوهاب خاتم). بذلهم وعطاءهم اللامحدود لا يمكن قياسه وترجمته، ولكن يجدر بي القول أنهم كانوا شُعلةً أضاءت حلقة السُّبل، أناروا بعقولهم الفياضة بالعلم مساراتنا المنعرجة المظلمة، وأشعرونا حقاً بمدى مسؤوليتنا تجاه وطننا، وأهميتنا الكبيرة بالنسبة لهذا الوطن!

"مالدينا"

أما في التدريب الميداني الطَّبِّي، فهناك رأيت مدى تعالي معظمهم على مستوياتنا، ناسين أنهم كانوا بالأمس في الموقع الذي ما نزال فيه، ولكن هذا لا ينطبق عليهم جميعاً، فالمؤثرون إيجابياً لا بُد أن يُستثنوا، ويُذكر فضلهم، وامتناننا لهم، ك(د.أحمد حيفان) الذي بدّد شعور الخوف بداخلنا من أول لحظة دخولنا العناية المُركّزة، وسلسل لنا من المعلومات ما ملأ عشرات الأوراق، بل وشجعنا على كل خطوة قمنا بها وإن كانت بسيطة، فقط ليدفعنا قُدماً دون أن يقيّدنا الخوف أو الارتباب.

المُحبطون كثيرون، والهدّامون، والساخرون، والمتغطرسون، ولكن أخلاقنا لا تسمح في أن نذكرهم بأسماءهم، فلا يستحق الذكر إلا من ترك أثراً جميلاً، وكان له الدور الكبير في تحطّي معوقاتنا، ومحاربة أي مستحيل لتحقيقه وإن كلفنا ذلك الكثير والكثير!!

نعمة الخالد

"مالدينا"

الإهداء

إلى الدكتور والمعلم العظيم:
د. جزيل الحاتمي.

رأيتُ المرضى يحتشدون أمام باب عيادته لمرات متعددة، بتجمهرٍ مُلفت، وكل من في المدينة بل حتى من المدن البعيدة يقصدونه للعلاج، تساءلتُ عن ذلك السرّ الكبير الذي يدفعهم للاعتقاد التام بما يقدمه لهم من معالجة، حتى أن أمي التي لم تكن تروقها أجواء المستشفيات يوماً ولا تصدق ما يقوله الأطباء قد قالت ولأول مرة في حياتها: لم أرَ أفضل منه طبيباً منذ أن عرفت الأطباء.. بعد مُدة صادف الأمر أن أكون متدربةً في عيادته، فاستنتجتُ السر حينها من خلال تعامله مع مرضاه كأصدقاء وأقرباء وأهلٍ، وليس كمرضى غُرباء، كان يرحب بهم بوجه بشوش قبل أن يتخطوا عتبة الباب، ويعرف أسماءهم قبل أن يلفظوها، ويشعر بشكواهم قبل أن يبدأوا بالشكوى.. منذُ بدء تدريبي في مُختلف المستشفيات لم أرَ طبيباً يمنح لمرضاه الطمأنينة بذلك الشكل الإنساني الذي تندر رؤيته في أطباء هذه الأيام بتعاملٍ حسنٍ يخلو من التصنُّع، ولا أذكر بأني رأيتُ مريضاً غادر عيادته بوجه عابسٍ أو نفسيةً مُتعبة، حتى في أشد الحالات مرضاً، هكذا يبثّ الأمل في دواخلهم بتفهّمه وإصغائه لهم دون ملل أو كلل، بل يجاريهم كأنهم أحد أقربائه فأكثر، ولا أذكر أيضاً بأنه أبدى تدمّره لأي تصرفٍ همجي يصدر من بعض المرضى، بل كان ذا صدرٍ رحبٍ يتقبّلُ حتى يشعر المريض نفسه بالحنجل من ردة الفعل المليئة بالإحسان.

"مالدينا"

إنني أتمنى أن يصبح جميع الأطباء " د.جزيل الحاتمي " كي ترتقي المهنة الطبية بالشكل اللائق والمناسب في كل البلدان، ليس باقتصارٍ على هذه المدينة التي تقدره تقديرًا كبيرًا للغاية، بل على مستوى مختلف البلدان.

الدكتور جزيل الحاتمي، استطاع حين درّسنا إحدى المواد أن يمنحنا التحفيز والحماسة التي افتقدناها طويلاً كطلبةٍ كاد الشغف أن يكون لديهم معدومًا. وحتى الطلبة الذي كانوا لا يطبقون حضور المحاضرات، بدأوا يستعدون لقدموها، فما من فراغ أبدًا يضعه بينه وطلبته، وما من تعالٍ أو تغطرس.. ولن تجد طالبًا من قاعتنا حتى أكثرهم إهمالًا يخبرك بأنه قد مل محاضراته يومًا أو تلقى أسلوبًا سيئًا.

وكما أن له الفضل الكبير في انطلاقة هذه القصة حين اقترح عليّ كتابة محتوى علمي بهذه الطريقة، بل وجعل متابعتها في كل موضوع أكتبه منها من أولوياته رغم ازدحام وقته وتزايد انشغالاته وتراكمها، وإن ظليت أشكره على تشجيعه واستمراره في التحفيز ومتابعته خطوة بخطوة من اليوم حتى الفناء فلن أفيه فضلًا أبدًا.

أسوةً عظيمة لجميع الأطباء، المعلمين، الإنسان بشكل عام..

طبيب يستحق أن يطلق عليه لقبُ "ملائكة الرحمن" بالفعل!

شكر خاص

- هل من الممكن أن توضح النقاط المهمة من هذا
الجدول يا دكتور!

هذا ما قالته طالبة ينتابها القلق والوجل لأجل الامتحان
القادم، ليقوم دكتور مادة (الصحة الإنجابية) بتمزيق كتابها
ورقة ورقة والغضب يتناثر من عينيه، حتى ملأت الأرض
الأوراق، وفي ظل تواجد الزملاء على المقاعد. ولم تبد تلك
الفتاة ردة فعل فوريّة، بل ظلت متبلدة حتى مزق ورقة أخيرة
ورمى بما تبقى من الكتاب، وغادر القاعة! لتقوم هي بجمع
أوراقها المتناثرة على الأرض، وتغادر المكان أيضاً، ثم إنها
حاولت كبج شعورها بالحزن كثيراً، وهممت في نفسها:
رباني أبويّ على احترام الكبار مهما بدر منهم حتى وإن كان
هذا الأمر سيحرق قلبيهما أسفاً وألماً على ابنتهم، وأخلاقي لا
تسمح أن أنشب في شجارٍ مع أحد أكبر مني" كانت هناك
عبارة في فمها ودت قولها له قبل أن تغادر: (سأخبر الله بكل
شيء) ولكنها لم تستطع وغادرت تغمغها في نفسها، ثم إنها
أمضت ليلة كاملة دون نوم، أو مذاكرة، تارة تحديق في
السقف، وتارة تتأمل تلك الأوراق بأسف، وكيف كان
باستطاعتها أن تحشو عقلها بمعلومات من أوراق ممزقة مجمعة
ملوثة بتراب الأرضية التي تناثرت عليها، والمشهد ذاته يتكرر

"مالدينا"

أمامها في ظل ضحكات الزملاء ولا مبالاتهم لما يجري، وبما أنها لم تستطع قول تلك العبارة في ذلك اليوم، بإمكانها أن تقولها الآن، لعله يقرأها صُدفَة، لعل أحدا يوصل هذه العبارة إليه بآني، أنا نعمة (أخبرتُ الله بكل شيء، ولن أنسى)..

ذلك الموقف علمني أنك وحدك تعيش صدمتك وأسفك، فلا الزملاء بالوا للأمر، ولا الدكتور اعتبره مهيناً مؤسفاً حتى فيما بعد، وأن كل شخص تعنيه مصلحته الشخصية وحسب، كيف لا وأقرب الزميلات لي قالت ضاحكةً وكأن شيئاً لم يحدث قبل أن أغادر القاعة أحمل بين يديّ أوراق الممزقة: دعيني أحدد الأوراق الممزقة من كتابك لعلها تكون محذوفة ولن يدخلها الدكتور في الامتحان!

مقدمة

أعتقد بأنك لا تحب قراءة المقدمات، ولا أنا أيضاً، لذا
أرى بأنه ما من داع لكل هذا القدر من المجاملات، فلا أنا
أجاملك بكتابة مقدمةٍ لا أستسيغها، ولا أنت تجاملني
بقراءتها دون رغبة، دعنا نبدأ دون "لفّ ودوران".

"مالدينا"

أشرقت شمسُ أول أيام آذار مُعلنةً حياةً جديدةً تسحب خلفها
لونًا مختلفًا، ورائحةً غير معتادة، صوتٌ ذا عبقٍ زكيٍّ، ونبرةٌ جليّةٌ تفوح
في الأرجاء.

بشغفٍ يكاد يفجر معضلة القلب، ونبضاتٌ تكاد تخرقُ
القفص الصدري، وقفت بأنفاسها التي تتعاقب بسرعةٍ خاطفة، حتى
توقّف كل شيءٍ لوهلة، تجمّدت الحركة وعميت الألوان، والأصوات
غرقت في بحرٍ من السكون .

الشيء الوحيد الذي كان يثير ضجةً تكاد تخرق طبلة الكرة
الأرضية كما تهياً، هي النبضات المتسارعة، كفرسٍ يعدو هاربًا من
لاشيء، أو كمفترسٍ تراوده نشوة الانقضاض على فريسته قبل فوات
الأوان.

أمام ذلك المبنى الشاهق، وقفت تحتضن سترتها البيضاء إلى
صدرها، وهناك رُسمت ابتسامةٌ تحملُ على متنها مشقّات السنين
الفائتة، وهُنَاكَ لمعت العينين لهفةً، وتنفست الرئتين الصعداء،
متوجهًا ذلك الجسد المرتعش إلى بابٍ زجاجي ضخم، يعكس العابرين
من أمامه، وكم كانت هناك الكثير من الملاحُ العالقة في رُفات
الحاضر، والخائفة من وعكة المستقبل المزمّة، المستقبل الذي نخشاه
جميعنا، دون أن ندرك بأننا نعيشه بالفعل.

تراود إلى ذهنها الكثير، نقاشٌ جاد يدوي في ذهنها: نعم لقد
تحقق الحلم، أصبح بإمكانني الآن إنقاذ الأرواح، أنا أمل من لا أمل له،
وعداً أيتها الأجساد المُتعبة، بأنني سأكون ضمادًا قبل الضمّاد من
خلال رقة تعاملي، وبأن مبسمي سيكون مسكّنًا، ورقّي ستظل رفيقة
لمن لا رفيق له.. وعدًا لن أخلفه، بأنني لن أترك جسدًا يغادر هذا المكان
وهو غير راضٍ عني، وعدًا.

ونقاش آخر انفتحت نوافذه على مصاريعها، مثل كتاب يقع من يد راكضٍ لِيُفتح على صفحةٍ تتقيأ الكثير من التساؤلات: يا إلهي! هل وصلتُ حقًا، للتوّ كان الطريق طويلًا بالأمس! نعم، كانت المسافة طويلة جدًا، كيف استطعت الوصول بهذه السرعة، أوه نعم، أنا لم أصل بتلك السرعة مطلقًا، لا يجب أن أنسى تلك السنون التي أكلت من سرمدتي حتى شبعت، ونهشت من راحتي مستلذةً بهواني، وكيف أن تلك الكتب امتصت الوقت مني، والأرق قضم الليل بين فكّيه الضخمين، كيف أنسى! لن أنسى مطلقًا تلك اللحظات الأشبه بالاحتضار، قبل الدخول إلى قاعة الامتحان، وأثناء الدخول وعند الخروج. الانتظار كان أصعب الامتحانات التي واجهتها في حياتي، انتظار النتائج، كان مقلقًا أكثر من الامتحانات نفسها. هكذا يُخيّل إليّ، بأن السنون مرت سريعًا، ولكنّها في الحقيقة لم تفعل، بل إنها مرت وعبرت كما تفعل في العادة، ولكننا بلحظةٍ ما نشعر أن أعمارنا انتفخت سريعًا، وكأن كمية هائلة من الخميرة انسكبت عليها، حتى ندرك تمامًا أنه آن أوان أن نُخبز، ونُحترق ونُقضم بأسنان الحياة!

قبل أن تتخطى عتبة الباب الكبيرة التي توجهت إليها بخطواتٍ رتيبة، بعقلٍ شاردٍ وملاحٍ متبلّدة، ومزيجٍ من المشاعر المضطربة ما بين البهجة والرغبة.

انقطع دورانها في عجلة التساؤلات، حين سمعت صافرة الإسعاف مهرولة بأقصى سرعتها وما إن وصلت وفُتح بابها حتى أحضر الممرضين النقالة ليظهر بأن رجلاً بالغًا تهاوت بقايا أنينه إلى أسماعها وحين نظرت إليه رأت وجهه المطمور بالدم المملّخ بالرماد.

ظلت تنظر إليهم عن بُعدٍ بفضول كبير وما إن أدخلوا ذلك المريض إلى قسم الطوارئ حتى بدأ الأطباء والممرضين ينتشرون كخلية نحلٍ في توفير العناية الطارئة لإبقائه حيًّا. حاولت اللحاق

"مالدينا"

بهم وظلت تنظر إليهم عبر فتحة زجاجية مربعة أعلى الباب من القسم بخوف وتوتر، ولكن بينما ينهمك الممرضين في حقن الرجل بالأدوية والمحاليل وتحضير الأكسجين حتى لاحظت أن ذلك الرجل قد بدأ يتنفس بصعوبة ووجهه قد بدأ بالازرقاق، اقتربت نحوهم ثم قالت مُحدرة: رثيه تنكمش هناك تجمع دموي داخل رثيه (Hemothorax) ..

لم ينتبه لتحذيرها أحد أو يصغي إليها ثم كررت قائلةً وعينيها تنظر إليهم بعشوائية دون أن تثير اهتمامهم مُطلقاً: يجب أن يتم شفط ذلك التجمع وإلا سيموت..

أيضاً لم يصغ إليها أحد، وبعد ثوانٍ وقف أمامها ممرضاً ثم قال بعجالة وهو يحضر حقنة: ابتعدي أيتها الصبية دعينا نرى عملنا.. صاحت به وهي تنظر إليهم يحاولون إنعاش تنفسه بالتنفس الاصطناعي: أنتم تدفعون الأكسجين إلى رثيه بينما هي منكمشة سوف تفجرونها..

لم يبد أحد اهتمامه لما قالت وكأنها غير مرئية بالفعل، حاولت استجماع قوتها متوجهة نحو عربة الأدوات وأخرجت مشرطاً منها فانطلقت إلى الرجل بغتة لتقوم بالإجراء في ظل دهشة الجميع وقد بدا الغضب على وجوه بعضهم، لكنّها لم تُبالٍ فقد قامتُ بشق فتحة تحت الضلع الخامس مُدخلةً أنبوبة بلاستيكية ليبدأ الدم في الخروج منها، وبعدها بدأت أنفاس المريض تنتظم رويداً رويداً وجهاز مراقبة العلامات الحيوية الـ (manitor) قد أعلن انتظام نبضات القلب..

قالت بهدوء وهي تمدّ كَفَّها: أحضروا لاصقاً..

لم تتوقع مطلقاً أن تتلق تلك الصفعة التي طُبعت على خدّها حتى كادت تخلع أسنانها إلا حين تقابلت عينيها بعيني أحد الأطباء الكبار التي تقدح سخطاً لتغادر متحسسة تلك الصفعة بيدها بعد أن

"مالدينا"

قام بطردها، فأكمل الممرضين الذين بدت عليهم الصدمة تثبيت الأنبوب في صمت.

حاولت كبح حزنها وإعادة تلك الدمعة الثقيلة قبل أن تنزلق، بلعت غصتها وهي تشعر بأن المكان قد بدأ يضيق عليها، فحاولت النظر إلى الأمر بطريقةٍ إيجابية بأنها أنجرت شيئاً عظيماً اليوم بعد أن أنقذت حياة ذلك الرجل..

و بينما هي تمشي في الممر لاحظتهم يدخلون مريضة أخرى على سرير متحرك بوجه شاحب وملابس ممزقة وشعر منكوش.. لكنها لم تجازف بالدخول مرة أخرى فانتظرت خارجاً بهدوء.

وبعدها بدقائق أحضروا مريضة أخرى على السرير المتحرك وقد سمعت أحد المسعفين يحدث الممرض الذي استقبله بصوت مرتفع: كارولا ساندي، خمسة عشر عاماً، حاولت الانتحار عن طريق تناول غسيل المنظفات (سائل التنظيف فلاش) (clorex) قبل اثني عشر ساعة، لديها توذماً في الحلق (Laryng edema) وصعوبة في التنفس (Dyspnea).

الممرض: عُلم

لا إرادياً وقفت بحماسةٍ مُحاولَة الدخول معهم لكن الممرض منعها بعد أن صفق الباب في وجهها، تراجعت إلى الورااء بخيبة أمل مرة أخرى.

بعد دقائق طويلة ما يقارب النصف ساعة وفي ظل انتظارها على إحدى مقاعد الممر خرج طبيباً بستره بيضاء وبذلة توشي أنه طبيب عام أو جراح على ما يبدو، وقد كان هو نفسه الطبيب الذي وجه لها تلك الصفعة قبل طردها من غرفة الطوارئ ثم قال للشابة دون أن ينظر إليها: اتبعيني..

"مالدينا"

ظلت الشابة تنظر إليه وهو يتعد فاعتقدت أنه يقصد أحدًا آخر إلا أنه التفت إليها ثم تجهم بصوت مرتفع تردد في الممر: ألا تسمعين!!! قلت لك اتبعيني.

الشابة: أنا!!

الطبيب بغضب: لا، جدتي !!

نهضت الشابة ثم تبعته كاتمة ضحكتها، حتى وصلا إلى مكتبه الخاص وقد كان معلقًا على بابه: Dr.Benral (الدكتور بنرال) جلس الطبيب على كرسيه الدوار أمام منضدته فوجه للشابة سؤاله دون أن ينظر إليها: ما اسمك؟!

الشابة بتوتر: مالدينا.. Maldeena

زفر الطبيب نفسًا: اجلسي يا مالدينا

جلست على المقعد ثم تحدث بهدوء: مريضة تعرضت للتسمم عن طريق شربها لسائل التنظيف (فلاش)، تعاني تودُّمًا في الحلق وصعوبة في التنفس، وقد مرَّ على شربها للغسيل اثنتي عشرة ساعة، ما الإجراء الذي كان من المفترض أن تقومي به كمرضة؟

مالدينا متوترة، ازدردت ريقها فأجابت: نبدأ بالمعالجة التدعيمية (Supportive therapy) وهناك عدة طرق منها A,B,C.

الطبيب معقدًا حاجبيه: وما إجراء A,B,C؟

مالدينا: فتح المجاري التنفسية (A:airway) عن طريق تمديد الرأس، أو استخدام أنبوب الشفط لشفط الإفرازات (Tubes for suction) أو إدخال أنبوب إلى القصبة الهوائية (Endotracheal tube)

د.بنرال: ولكن الطريقة الأخيرة ما تزال مبكرة لحالة المريضة فهي لم تدخل بعد في مرحلة الغيبوبة (Coma).

"مالدينا"

مالدينا متوترة: أوه.. نعم.. نعم معك حق.
د.بنرال: ماذا لو كان هناك انسدادًا في المجاري التنفسية العلوية؟!

مالدينا تفكر:
د.بنرال: أنا لا أحب الانتظار..
مالدينا وقد بدأت يديها تتعرق: اااا... نعم سوف نقوم بإجراء فتحة في القصبة الهوائية (Tracheostom)..
د.بنرال ببرود: ماذا عن الC,B؟!

مالدينا محاولة إخفاء توترها: (B:Breathing) نقوم بإجراء إنعاش التنفس الفموي (mouth to mouth) كإجراء أولي قبل الوصول إلى المستشفى، ومن ثم توصيل الأكسجين إلى مجرى التنفس عن طريق القناع الفموي (mask face) أو (nasal cannula)..
من ثم بإمكاننا استخدام جهاز التنفس الاصطناعي (mechanical ventilation)...

د.بنرال: جيد، باقتضاب أخبريني ماذا يقصد بالC وما الإجراءات اللازمة التي تدرج تحته؟!
مالدينا تمسح العرق عن جبينها بمنديلها محببة: الC عبارة عن ثلاثة أشياء..

د.بنرال: جيد، ما هي؟!
مالدينا: الدورة الدموية (Circulation)، التشنج (Convulsion) والغيبوبة (Coma)..
د.بنرال: إذن؟!

مالدينا: في حالة المعالجة التدعيمية للدورة الدموية هناك أمرين هامين يجب أخذهما بعين الاعتبار، أولاً: انخفاض الضغط (Hypotension) يجب رفع القدمين إلى نهاية السرير ومن ثم

"مالدينا"

إعطاء بعض السوائل الوريدية.. ثانيا: في حالة عدم انتظام ضربات القلب (Arrythymia) بإمكاننا إعطاء بعض الأدوية التي تعمل على استقرار ضربات القلب.

د.بنزال: جيد، ماذا عن الـ الثالثة؟!

مالدينا: نعم، في هذه الحالة، حالة الغيبوبة بإمكاننا إعطاء المريضة بعض السوائل والفيتامينات التي تساعد في استعادة الوعي. أما في حالة الـ الثانية وهي التشنج، هنا سنقوم بحقن المريض وريديا ببعض الأدوية التي تساعد في استرخاء العضلات.

د.بنزال: ماذا لو كان هناك صعوبة في حقن المريض وريديا؟

مالدينا بثقة: تعتبر هذه الطريقة أكثر استخداما للأطفال وليس للكبار، فبإمكاننا البحث عن الوريد في أي مكان، أو في أماكن تشريحية مختلفة.

د. بنزال مبتسما: جيد.. هناك طرق عدة أخرى، هل بإمكانك

أن تذكرها باقتضاب دون شرح مفصل..؟!

مالدينا وقد هدأت وتيرتها: بالتأكيد، هناك طريقة إزالة السموم

(Decontamination) ويندرج تحت هذا البند ما يلي:

أولا: الحث على التقيؤ (Induction of emesis)، وهناك

طريقتين لإزالة كل المكونات من المعدة، إما ميكانيكيا عن طريق لمس

الجزء الخلفي من البلعوم بواسطة خافض اللسان Tongue

(depressor) أو كيميائيا عن طريق إعطاء بعض المستحضرات التي

تساعد على التقيؤ.

د.بنزال: هل هناك موانع لتجنب استخدام هذه الطريقة؟!

مالدينا: بالتأكيد، أولاً إذا كان المريض في حالة غيبوبة أو تشنج

يمنع استخدام هذه الطريقة، أيضاً، لو كان التسمم مزمنًا، أو مسببا

للتآكل أو من السموم المتطايرة..

"مالدينا"

د.بنرال: واصلي
مالدينا: من الطرق الأخرى لإزالة السموم غسيل المعدة
(Gastric wash) .

د.بنرال: عن طريق ماذا بإمكانك إزالة مكونات المعدة.
مالدينا: ماء مع ملح.. أو أملاح الكالسيوم والبوتاسيوم، من
موانعها في حال ابتلاع أجسام غريبة، التشنج، دوالي المريء، تسمم
المواد المتطيرة، والمواد التي تسبب التآكل.

د.بنرال: هل هناك استثناءات للسموم المسببة للتآكل؟!
مالدينا: نعم باستثناء التسمم بـ "الفيனால்"
ساد الصمت قليلاً ثم أكملت مالدينا: ثالثاً: الفحم المنشط
(Activated charcoal)، هذه الطريقة تقلل من امتصاص السموم
والأدوية.

د. بنرال: مثل ماذا؟!
مالدينا: ما الذي تعنيه؟!
د.بنرال: أقصد ما هي الأدوية التي من الممكن أن يعمل الفحم
المنشط على امتصاصها؟!
مالدينا: اوه نعم.. مثل باراسيتامول paracetamol البندول
العادي

الأسبرين salicylates
الباربيتوريت parbiturates
مضادات الاكتئاب Tricyclic antidepressants drugs
د.بنرال يفتح جهاز اللابتوب خاصته ثم يسأل بهدوء: آثاره
الجانبية؟!

مالدينا: قد يسبب غثيان وتقيؤ.. قد يسبب أيضاً إما إسهالاً أو
إمساكاً..

"مالدينا"

د.بنزال ينقر على مفاتيح الحاسوب دون أن ينظر إليها: ماذا عن موانع الاستخدام؟!

مالدينا وقد بدأ التوتريتا بها مجددا: آآ.. نعم، في حالة الانسداد المعوي، المواد المسببة للتآكل، عدم وجود صوت لحركة الأمعاء. وعند التسمم بالمعادن الثقيلة..

د. بنزال: ماذا لو أعطينا المريض مسهلات؟!

مالدينا بثقة: هذا غير صحيح

د.بنزال يرفع حاجبًا: السبب؟!

مالدينا بصوت يثني تأكدها لما ستقوله: لأنها ستسبب مضاعفات للمريض بدلاً من أن تعالجه.

د.بنزال: مضاعفات مثل ماذا؟!

مالدينا: الجفاف (Dehydration) وعدم توازن الأملاح المعدنية - إلكتروليت - (Imbalance).

د. بنزال: متى تُستخدم طريقة إزالة السموم من الدورة الدموية (Elimination of poison from blood) في حالة التسمم الحاد (Severe poisoning)؟

مالدينا: هل تقصد ما الإجراء؟

د. بنزال: نعم، ما الإجراء؟!

مالدينا: هنا سنقوم بإزالة السم من الدم عن طريق الغسيل الكلوي... (Dialysis)

د. بنزال مغلقًا الحاسوب محققا بعيني مالدينا بغرابة: ما أبرز مضاعفات التسمم؟!

مالدينا تفرك باطن كفيها المتعرقين ببعض: حسنا.. دعني أتذكر

د.بنزال وهو يسحب الورقة التي خرجت من فم الطابعة: لا

أحب الانتظار..

"مالدينا"

مالدينا تفرك صدغيها محاولة التذكر..
د.بنرال: أنتم طلبة هذه الأيام عجيبيون للغاية، تحفظون فقط،
تحصرون أنفسكم على الحفظ كأنكم مسوخ آلية وظائفها ومعلوماتها
محدودة، من المفترض أن تفهموا قبل أن تحفظوا، من خلال ما ذكرته
كان باستطاعتك استنباط المضاعفات دون أن تنس...

مالدينا تقاطعه فجأة: توذما رئويًا (Pulmonary edema)
توذمًا في الدماغ (Cerebral edema) واضطراب في الأملح
المعدنية (Disturbance Electrolyte).

ثم أخذت نفسًا عميقًا وكأنها عائدة من معركة ضارية فعقد د.
بنرال حاجبيه قائلاً بهدوء: لِمَ تبدين خائفة، هل أبدولك عزرائيل؟!
مالدينا: نعم تبدو كذلك...

توقفت عن إكمال جملتها فأطرقت رأسها خجلًا يقول د.بنرال:
مع أنني قلت لك عددي الطرق دون تفصيلها إلا أنك قد فعلت ما
هو العكس وأنا لا أحب هذا الأسلوب مطلقًا.. أجيبي بقدر الأسئلة
فقط..

مالدينا: كنت فقط أريد أن...
د. بنرال مقاطعاً: تريدين إثبات جدارتك أعرف هذا، ولكن
الطالب المتميز ليس بحاجة لمثل هذه الأشياء، إثبات الجدارة على
الصعيد الطبي في الميدان العملي لا في سلسلة المعلومات كمذايع لا
يكف عن الثثرة..

مالدينا: ولكنك كنت تطرح الأسئلة وقد قمت بمجازاتي أيضًا..
د.بنرال: لأساعدك في إثبات حماقتك..

مالدينا مشدوهة: حماقتي!!
د.بنرال يضرب بكفه على المنضدة منفعلاً: نعم حماقتك.. قلت
لك مريضة تعرضت للتسمم عن طريق شربها لغسيل سائل

"مالدينا"

التنظيف، تعاني تودماً في الحلق وصعوبة في التنفس، وقد مر على شربها للغسيل اثنتي عشر ساعة، ما الإجراء الذي كنت ستقومين به كمرضة؟

مالدينا: ذكرت لك الطرق.. بل كل الطرق
د.بنرال: منفعلا: وهل من الممكن إجراء كل الطرق في حالة واحدة.

مالدينا:
د.بنرال ما يزال منفعلا يضرب بقبضة كفه على المنضدة:
أتعلمين أننا فقدنا المريضة قبل قليل، وهذه كله بسبب تهورككم يا أبناء هذا الجيل المتسرع المتهور الأحمق!!
مالدينا بخوف:

رفع د.بنرال سماعة الهاتف ثم قال بتجهم: أخبر الممرض ريونالد أن يأتي إليّ في الحال.

صفق بسماعة الهاتف فوجه لها سؤالاً: أطرح عليك السؤال نفسه للمرة الأخيرة، أي من الإجراءات يمكنك القيام بها لمريضة تسمت بمنظف فلاش (Flash)!!.

مالدينا وهي تحدّق إلى الباب الذي تنتظر دخول الممرض منه وكأنها تنتظر أملاً مبتوراً، قالت بارتياح بعد أن أخذت نفساً: بما أنه قد مر على تسممها اثنتي عشر ساعة فقد وصل للمرحلة الحادة.. إذا.. سنقوم بإرسال المريضة إلى وحدة الغسيل الكلوي؛ لأنه مادة أكالة ولا يمكن استخدام غسيل المعدة بعد هذه الفترة الزمنية أو منشطات الفحم أو الحث على التقيؤ!!

د. بنرال يرخي ربطة عنقه وجبينه يتعرق: سأفقد صوابي في الحال..

مالدينا: مابك!! هل قلت شيئاً خاطئاً؟!

"مالدينا"

دخل ممرضٌ مخفضاً رأسه بوجه محمّرٍ ويدين مرتجفةٍ وقد كان الممرض الذي قام بإغلاق باب الطوارئ في وجه مالدينا عندما استقبل تلك الحالة، تقدم بضع خطوات ثم قال د.بنزال بصوت خفيض يوحى بهدوء ما قبل العاصفة: الأحقق الذي يقف أمامك الآن قام بالأمر نفسه الذي قتلته قبل قليل!! ولكننا مقابل ذلك فقدنا المريضة!!

مالدينا: لماذا!!

د.بنزال يصرخ غاضباً: لأنكم حمقى، لديها توذما في حلقتها، صعوبة في التنفس، كان يجب إجراء المعالجة التدعيمية قبل أي شيء، الـ ABC التي فصلتها قبل قليل أيتها البلهاء، ألم أخبركم بأنكم جيل كمسوخ آلية، الفائدة منكم ووجودكم محدودة.

مالدينا تقف بثقة: لكن السم قد أصبح في دمها تماماً هل تريد أن يستقر داخلها حتى ينهشها؟!

د.بنزال غاضباً: ما يقتل المريض بسرعة عالية هو انسداد التنفس أيتها الحمقاء!!

لاذت بالصمت مُفكرةً بتيه، بينما د.بنزال فقد قام بالتوقيع على ورقة بيضاء أمامه وناولها الممرض الذي يقف أمامه متسماً دون أن ينبس ببنت شفه: اغرب من وجهي، أنت مطرود!!

الممرض محاولاً التبرير: دعني أشرح لك..

د.بنزال مقاطعاً وقد احمرت عينيه لفرط السخط: تشرح لي ماذا!!؟ تود إثبات حماقتك أكثر وعدم جدواك، قلت لك اغرب من أمامي، هيا..

غادر الممرض منكساً رأسه بأسف ثم جلس د. بنزال محاولاً فك أزرار قميصه العلوية فصرخ في مالدينا: اجلسي!!

"مالدينا"

جلست بخوف وعظامها ترتجف ثم أردف: ما فعلته اليوم يعد مجازفة، إذ أنك ما تزالين مبتدئة في عملك وما تزالين تحت المراقبة ويستحق ما فعلته الطرد لا الثناء لأن عملك كمساعد طبيب له حدود.. بكل بساطة تقومين بإجراء الأنبوب الصدري (Chest tub) دون إذن مسبق، بأي حق!!! بل من أنت!!

للتو تحاول استيعاب ما يحدث بخصوص أمر التسمم ثم فجأة يتناثر غضبه منها لما قامت به بأمر الأنبوب الصدري، انعقد لسانها ولم تجب فأكمل الطبيب يزفر نفساً: كنت أعلم أن هناك مساعداً جديداً لي سيحضر اليوم، وأعتقد أن من سوء حظي بالطبع، أنك ذلك المساعد، لذا أنا سوف أمنحك فرصة واحدة فقط للبقاء هنا!!

مالدينا متوترة: ما هي؟

د.بنرال: الشابة التي رأيته قبل قليل.. وأدخلوها إلى غرفة الطوارئ بحالة يرثى لها، عثروا عليها غائبة عن الوعي في تلك الحالة على إحدى أرصفة الشوارع، وتقول بعد أن استعادت وعيها أنها تعرضت للاغتصاب ومهمتك الوحيدة أن تدرسي الحالة بشكل جيد.. من أولها إلى آخرها، نريد معرفة فيما إن كانت تعرضت للاغتصاب كما تدعي أم أن هناك أمر آخر..

مالدينا وقد احمر وجهها بمزيج من المشاعر المضطربة: ولكن.. أقصد.. هذه الحالة.. يعني تناسب أن يدرسها طبيباً شرعياً.. لا مساعد!!

استدار دكتور بنرال بمقعده الدوار نحو النافذة بهدوء وبلا مبالاة مشعلاً سيجارة، وبعد أن وضعها في فمه ونفخ سحابة من الدخان تتم بهدوء: إنها فرصتك الأولى.. والأخيرة.. سجلي هذا في دفتر ملاحظاتك اليومية كي لا تنسيه!!

"مالدينا"

غادرت مالدينا بشيء من الحيرة والقلق والخوف، بل شعرت أن عَصارة مطحنة ذات أسنان مدببة تحوم في معدتها، وكأن عقلها يُسحق على الرّحى بشكل سريع ومتواتر، ظلت تطوف في ذلك الممر تحاول سحب أنفاسها بصعوبة، ولكنها سرعان ما لمعت في رأسها فكرة ثم ابتسمت بمكرٍ للتوقف عن الذهاب والإياب، فأخرجت هاتفها من جيبها، وبعد لحظات اتصلت على شخص ما: مرحبا دكتور ويلمن

د.ويلمن: مرحبا مالدينا.. كيف حالك؟!

مالدينا بعجلة: للتو خرجت من عند السيد عزرائيل قبل قليل وأعتقد أنني بخير، المهم، أود مقابلتك بشأن أمر مهم للغاية .

د. ويلمن: السيد من؟!

مالدينا متجاهلة تساؤله: يجب أن آتي إليك دكتور ويلمن.. هل تملك وقتا حُرّاً الآن..

د. ويلمن بتردد: في الحقيقة ...

مالدينا مقاطعة: صدقني سيتم طردي من هذا المستشفى ولن أستطيع العمل مرة أخرى... في أي مكان
د. ويلمن: لماذا ، ما الأمر!!

مالدينا: لنلتق في مقهى سانتورا شارع د.س. وهناك سأخبرك بكل شيء..

أغلقت الهاتف ثم توجهت نحو بوابة المخرج فأوقفت سيارة أجرة بصعوبة كون السماء الملبدة بالغيوم تنثر دموعها بغزارة.. وبعد ما يقارب عشر دقائق وصلت إلى مقهى سانتورا.. وانتظرت هناك لوقت طويل.. وما إن أيقنت أن د. ويلمن لن يأتي قررت الرحيل لكنها تفاجأت بجلوسه أمامها فجأة، وبعد تبادل الحال وطلبه للقهوة

"مالدينا"

واستعادة أنفاسه.. بدأ النقاش الحقيقي الذي استدعت د.ويلمن لأجله!

د.ويلمن: أخبريني يا مالدينا ما الأمر؟

مالدينا: لقد بدأت للتو في العمل بمستشفى م.ك ولكن من أول يوم مزاوله سيتم طردي إن لم أقم بدراسة هذه الحالة التي بسبب تدخل في التي قبلها سأطرد.

د. ويلمن: لا بد أنك كعادتك وعنادك اقترفتِ مصيبة هناك.. ولكن أخبريني المهم ما الأمر.. يبدو أن الحالة جنائية وإلا لما استدعيت الطبيب الشرعي د. ويلمن .

مالدينا: في الحقيقة.. هناك شابة تقول بأنها تعرضت للاغتصاب.(Rape). عثروا عليها على إحدى الأرصفة غائبة عن الوعي، الطبيب الذي سأصبح مساعدته وكلني بحل القضية من بداية الخيط حتى آخره. وأنا في الحقيقة مجرد مساعدة ولا أملك المعلومات الكافية لدراسة هذه القضية..

د. ويلمن محاولاً تهدئة روعها: حسناً.. سوف تحليل الأمر أنتِ عبقرية يا مالدينا.. أولاً.. قلتِ بأنهم عثروا عليها في إحدى الشوارع!!

مالدينا: نعم.

د. ويلمن: هل ذهبتِ إلى المريضة وتعرفتِ عليها، اسمها عنوانها، أو حاولت معرفة تفاصيل ما حدث لها...

مالدينا: لذا أنا هنا.. لا أعرف كيف أقوم بالأمر هذا. لم أجرؤ على الذهاب إلى المريضة قبل أن أعرف الخطوات التي على أساسها سأدرس القضية...

د. ويلمن: حسناً.. أصغي إلي جيداً..

"مالدينا"

فتحت دفتر ملاحظات صغير وأخرجت من حقيبتها قلمًا ثم قالت: تفضل..

د. ويلمن: يجب أن تُحاولي بطريقة ودية كسب المريضة أولاً كي تجيبك على الأسئلة بكل صراحة.. بالطبع فإن حقيقة ما تقوله قد يكون ٣٠٪ منه غير صحيح أو غير موجودًا، أو قد تخفي عنك تفاصيلًا صغيرة لكنها مهمة..

مالدينا: تفاصيلًا صغيرة مثل ماذا..!؟

د. ويلمن: مثلاً كأن تقول بأنها كانت غائبة عن الوعي عندما تعرضت للاغتصاب بينما في الحقيقة لم تكن كذلك..
مالدينا: وكيف أعرف هذا!؟

د. ويلمن: رويدك مالدينا.. سوف نصل إلى مرحلة التشخيص (Examination) بعد أن تتعلمي أولاً كيف تقومين بأخذ المعلومات الشخصية (Personal information) من المريضة في حالة حساسة كهذه .

بعد ما يُقارب نصف ساعة من التوضيح والشرح لمالدينا من قبل د. ويلمن، غادر المقهى، وغادرت مالدينا بحماس كبير للغاية.. عادت إلى المستشفى ثم وكلها د. بينرال ملف ما يخص بتلك الحالة، من أولها إلى آخرها.

استطاعت مالدينا أن تتعرف على اسم المريضة، نعم، كان اسمها راندا بنجامين. لكنها لم تقبل في قول اسم لقبها لأنها لم تكن ترغب في أن يكتشف أهلها ما حدث، تبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاماً وهذا ينطبق مع القانون الذي أخبرها د. ويلمن بأن يتم التحقيق مع المجني عليها في قضية كهذه إذا كان عمرها يتجاوز الثمانية عشر عاماً. لم تكن مختلة عقلياً (No mentally deficient) كما تبين لها من خلال لغة جسدها ووعيها. ثم ظلت مالدينا تستمع إلى ما قصته

"مالدينا"

لها المريضة راندا بينما تجهش بالبكاء حرفاً بحرف دون أن تقاطعها وبعدها قامت برصد بعض التفاصيل على دفترها الصغير. بعد أن تأكدت بأن حالتها العقلية سليمة تماماً. بدأت تربط الخيوط ببعضها شيئاً فشيئاً .

انتهت من مهمة المعلومات الشخصية وعن ماهية حدوث تلك الحادثة. ثم انتقلت إلى الخطوة التالية كما أخبرها د. ويلمن، ألا وهي الفحص السريري لحالة الضحية.

حاولت مالدينا بطرق عدة إقناع المريضة لأخذ الموافقة (The consent) للفحص والتشخيص. لكنها لم توافق على ذلك. وعلى آخر المحاولات فكرت مالدينا أنه سيقضى عليها إلم تنفذ هذه القضية وستطرد لذا استخدمت أسلوباً لا يليق بها كطبيبة، فقد قامت بتهديد المريضة بأنها ستبحث عن أهلها وتخبرهم عما حدث.. خافت الضحية ثم خضعت للأمر الواقع. فبدأت مالدينا في تشخيصها..

تذكرت مالدينا شعر الضحية المنكوش عندما أوصلوها إلى غرفة الطوارئ وياقة ثوبها كانت ممزقة.. وهذا ما ينطبق على ما قاله لها د. ويلمن ولا سيما حين لاحظت السحجات (Abrasions) على ظهرها وآثار دماء على أظافرها فخمنت أن الضحية حينها كانت تحاول المقاومة..

نظرت إلى فمها فإذا بكدمات (Bruises) زرقاء حول فكيها ثم قالت للضحية: كنتِ تحاولين الصراخ فقام بإغلاق فمك لئلا تمنعك من ذلك..

الضحية ببكاء: نعم

"مالدينا"

أكملت مالدينا تشخيصها وفحصها للمريضة بدقة وعناية. ثم بعد ذلك بسويغات بدأت تربط الخيوط ببعضها.. قامت بالاتصال بـ د. ويلمن.

د ويلمن: أخبريني مالدينا، ما آخر مستجداتك؟!
مالدينا تمشي في الممر: هناك آثار مقاومة على الضحية
د ويلمن: كم يبلغ عمر الضحية؟!
مالدينا: تقول بأنها تبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاماً..
د.ويلمن: جيد، كم تخمّن نسبة علامات المقاومة والعنف
(Violence) الموضوعي

مالدينا: ربما 62% مقاومة و 38% عنف موضوعي
د.ويلمن: تبدو متزوجة..

مالدينا: ماذا؟!.. كيف عرفت هذا
د ويلمن: تختلف علامات المقاومة العامة والعنف الموضوعي
حسب عمر الضحية وعذريتها (Virginity) ونموها البدني، مثلاً،
الفتيات الصغيرات عادة ما تكون علامات المقاومة لديهن غائبة
بينما تكون علامات العنف الموضوعي شديدة..
مالدينا: ماذا عن العذارى البالغات؟!
د. ويلمن: علامات المقاومة العامة أقل وضوحاً في العذارى
منها عند المتزوجات مثلاً قد تكون نسبة علامات المقاومة 20%
بينما العنف الموضوعي 80% ..

مالدينا: إذا المتزوجات يمتلكن أكبر درجة مقاومة وأقل علامات
في العنف الموضوعي.. ولكن هذا لا يعني أنها متزوجة، ربما بسبب
بنيتها الجسدية استطاعت المقاومة..
د. ويلمن: كم تقدرين وزنها..
مالدينا: تقريباً 56 كيلو جرام

"مالدينا"

د. ويلمن: ماذا عن طولها!؟

مالدينا: 158 سم تقريباً

د. ويلمن: ربما قد يكون كذلك فعلاً ، ولكن ليس كل من تتمتع ببنية جسدية ضخمة و وزن أكبر يعني أنها تستطيع المقاومة بدرجة أكبر، ولكن سوف تتأكدين من ذلك حين تقومين بالكشف عليها، إن كان غشاء البكارة (The hymen) قد تمزق حديثاً فهذا يعني أنها ليست متزوجة.

مالدينا: في الحقيقة، لا أعتقد أنه تمزق حديثاً فلم يكن هناك نزيفاً (Bleeding) غزيراً على ثيابها الداخلية.

د. ويلمن: لا يشترط هذا.. فليس كل أغشية البكارة تنزف بغزارة لأول مرة من الإيلاج.
مالدينا: كيف!؟

د. ويلمن: قد يكون غشائها من النوع السميك، (Thick membrane) مثل الغشاء الحلقى (Annular) وهذا النوع لا ينزف من أول مرة بل يتسع ويعود لماهيته مرة أخرى دون أن ينفجر. وإذا أردت التأكد فإليك العلامات الدالة على أنه للتو تعرض للانفجار: الشفرتين الكبيرتين غير متماسكتين أو مستديرتين ولا تغلق المهبل تماماً، بينما الصغيرتين فلونها لن تجديه وردياً أو مغطى بالكبيرتين، الدهليز متسع والغشاء المخاطي غير ضارب للحمرة وجدرانه متباعدة وفتحته مفتوحة.. إن وجدت كل هذه العلامات وميزت أنها ما زالت حديثة، فهي فعلاً كانت قبل الحادثة عذراء، وبإمكانك التمييز فيما إن كانت عكس ذلك..

مالدينا: هل هذا يعني أن هناك أغشية مختلفة للبكارة!!

"مالدينا"

د.ويلمن: بالطبع يا مالدينا، هناك أنواع كثيرة منها ولكن من الناحية الطبية الشرعية فإن الأنواع الأكثر شيوعاً سبعة أنواع بالترتيب.

مالدينا: ما هي؟

د.ويلمن: هناك الغشاء الهلالي (Semilunar or Crescentic) غشاء سميك ذا فتحة أمامية (Anterior opening)... وهناك الغشاء الحلقي (Annular hymen) ذا فتحة مركزية قد تتسع أثناء ال (Intercourse) لكن دون أن ينفجر ويتمزق لأول مرة وهذا ما قد ينطبق على تلك الضحية.. بينما الغشاء المسنن (Dentate hymen) فهو غشاء بفتحة ذات حواف مسننة.. ويليه الغشاء المهذب (Fimbriated hymen) توجد هناك العديد من الأهداب حول الفتحة.. أما الغشاء الجسري (Septate hymen) فقد يظهر منقسمًا بشكل طولي إلى فتحتين بينما الغربالي (Cribriform hymen) فهو عبارة عن فتحات صغيرة تعطي الغشاء شكلًا يشبه (الغربال أو المنخل). وختاماً بالغشاء السابع، الغشاء غير المثقب (Imperforate hymen) مكتمل الإغلاق وضحاً هذا الغشاء لا تنجو من سخط أهلهم خصوصاً في المجتمعات غير المتحضرة لأنه يحقن الدماء فيوحي بأن الأنثى حامل!

مالدينا: لقد ذكرت سبعة منها، وقلت بأنها الأكثر شيوعاً، ولكن لا بد من أن هناك ما يعد مهماً جداً من الناحية الطبية الشرعية!!

د.ويلمن: بالطبع، الغشاء الحلقي، الغشاء غير المثقب، الغشاء المسنن وأيضاً المهذب.. هذه الأربعة الأغشية من الناحية الطبية الشرعية فهي الأهم، أما الأكثر شيوعاً فهو الهلالي..

"مالدينا"

مالدينا:

د.ويلمن: المهم، الآن لنتنقل إلى الخطوات التالية..

مالدينا: ما هي؟!

د. ويلمن: سوف تقومين بفحص البقعة المنوية (Seminal

spots) التي قد تجدونها على ملابس الضحية الداخلية..

مالدينا: وبعدها؟!

د.ويلمن: تفحصين الإفرازات المتجمعة في المهبل (The

vagina) تحت المجهر..

مالدينا: لم أسألها عن وقت الاغتصاب، ماذا لو أن الحيوانات

المنوية (Sperm) قد اختفت!!...

د. ويلمن: لا داعي لأن تسألها عن هذا، فقط أجري الفحص

وس يظهر ذلك فيه.. لأن الحيوانات المنوية تظل موجودة لأكثر من ٤٨

ساعة وبما أنهم عثروا على الضحية اليوم وما يزال هناك بقايا على

ثيابها وعلامات مقاومة على جسدها.. فلا بد أن وقت الحادثة قبل

هذا الوقت بساعات قليلة.. ولمعلوماتك يا مالدينا..

مالدينا: ماذا؟!

أكمل د. ويلمن: تستطيعين رؤية أجزاء محددة أيضاً من

الحيوانات المنوية لعدة أيام أخرى.

مالدينا: حوالي كم؟

د. ويلمن: قد تصل إلى أربعة أيام أو أكثر أو حتى عدة أسابيع.

مالدينا: هذا جيد إذن، بإمكانني معرفة نوع الحيوانات المنوية

للجاني (Accused)

د. ويلمن: هذه ليست آخر خطوة..

مالدينا: ماذا بعد؟!

د. ويلمن: أظافرها (Nails)

"مالدينا"

مالدينا: مابها!؟

د. ويلمن: بما إن نسبة مقاومتها عالية، فلا بد أنها خدشت جلد الجاني دفاعًا عن نفسها بأظافرها.

مالدينا: نعم هذا صحيح، إذا سأجري فحص الحمض النووي (DNA (Deoxyribo Nucleic Acid).

د.ويلمن: بالضبط..

قامت مالدينا بإجراء الخطوات التي أخبرها عنها د. ويلمن وبعد وقت طويل من الذهاب والإياب من وإلى المختبر ومواصلة الكشف على الضحية، شارفت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل على الانتهاء وهي ما تزال تدرس تفاصيل تلك القضية بدقة وحذر، وبعد أن ظهرت الفحوصات هرعت إلى هاتفها فورًا لتخبر د. ويلمن عن النتائج.. حاولت لمرات عديدة على الاتصال به لكن جهازه كان مغلقًا.. لذا قررت تأجيل الاتصال حتى الصباح ثم توجهت نحو حجرة المريضة وظلت تتأملها للحظة وتتأمل الفحوصات التي تحملها للحظات أخرى بتفكير كبير.

أشرفت الشمس ومالدينا ما تزال مستيقظة بقلق تنتظر أن يجيبها د. ويلمن سريعًا.. فأرسلت إليه رسالة صوتية أنها تنتظره في مقهى سانتورا في تمام السابعة والنصف.. حملت الفحوصات والملاحظات التي دونتها وبدلت ثياب المستشفى ثم غادرت سريعًا إلى مقهى سانتورا.. لكن د.ويلمن هذه المرة قد سبقها إلى هناك لذا انطلقت إليه في الحال.

جلست على المقعد بحماسة ثم بادرد. ويلمن متسائلًا: ألم تنامي

حتى الآن!!

مالدينا: نعم كيف عرفت!!

"مالدينا"

د. ويلمن معاتبًا: مالدينا!! ألا تعرفين بأن: ((قلة النوم تؤدي على الأرجح إلى تلف طويل الأمد في الدماغ وزيادة خطر الاضطرابات العصبية مثل مرض الزهايمر. ويبين العلماء أن فترات الحرمان الشديدة من النوم ضارة بالصحة، فقد استخدم الأرق القسري لعدة قرون أداة عقاب وتعذيب.

وفي أول دراسة تجريبية عن الحرمان من النوم -نشرتها العالمة الروسية (ماريا ماناسينا) عام 1894- أُجبرت الجراء (صغار الكلاب) على البقاء مستيقظة من خلال التحفيز المستمر، وماتت في غضون 5 أيام.

وعند فحص أجسادها بعد ذلك لاحظت (ماناسينا) أن "الأوعية الدموية نزت وتآكلت الأغشية الدهنية"؛ وخلصت إلى أن "الحرمان التام من النوم أخطر من الحرمان التام من الطعام".

وأجرت المراجعة البحثية الدكتورة (سيغريد فيسي) عالمة الأعصاب بجامعة (بنسلفانيا)، والباحث (زاكاري زامور). وقال الكاتب (أوليفر وانغ): إن الحرمان من النوم أدى إلى موت الخلايا في أدمغة الفئران بعد أيام قليلة من تقييد النوم، وهي بداية أقرب بكثير لتلف الدماغ مما كان يعتقد سابقًا.

وقد قام العلماء بإجراء تجارب على تلك الفئران للتعرف على دور النوم في إصلاح ونمو الخلايا الدماغية وكذلك تصلب الأعصاب المتعدد حسبما يقول فريق البحث من ولاية (ويسكونسن) الأمريكية. وما توصلت إليه الدكتورة (تشيارا) وزملاؤها من جامعة (ويسكونسن) أن معدل الخلايا التي تنتج مايلين قد زاد إلى الضعف أثناء نوم الفئران.

والميلين مادة تغلف الخلايا العصبية والنخاع الشوكي لحمايته وحماية دوائر المخ.

"مالدينا"

من خلال تلك التجربة تبين أن أكبر معدل لزيادة الخلايا جاء خلال النوم المصحوب بالأحلام، أو ما يُعرف علمياً (نوم حركة كرة العين السريعة).

حين راقب الباحثون فئران تجارب بقيت مستيقظة لوقت طويل، رجحت دراسة أمريكية أن قلة النوم قد تؤدي إلى فقدان دائم لخلايا الدماغ..

وحسب الدراسة التي نشرت في (نيوروساينس) فإن قلة النوم لفترات طويلة تسببت في موت 25٪ من الخلايا الدماغية لدى الفئران.

وقد قالت (سيغريد فيزي) من مركز النوم، لبي بي سي: (على الرغم من أن هذه التجربة كانت خاصة بالحيوان إلا أنها تُرجح أنه علينا فحص الأمر بدقة بالنسبة للبشر).

كما يسبب قلة النوم أيضاً في حدوث التهاب في قشرة الفص الجبهي وزيادة مستويات بروتينات تاو والأميلويد، التي تم ربطها بأمراض مثل مرض الزهايمر وباركنسون))

مالدينا تغسل وجهها من قنينة الماء الموضوعة على الطاولة: أنت تعرف الكثير يا دكتور ويلمن، لا تقلق لقد اعتدت هذا منذ أيام الدراسة.. بالمناسبة، ما الفرق بين الزهايمر والخرف؟!

د.ويلمن: إن الزهايمر يعتبر من مسببات الخرف .

مالدينا تعيد رش وجهها بالماء: كنت أعتقد أن الزهايمر هو نفسه الخرف..

د.ويلمن يحرك كوب قهوته:لا، فالخرف (Dementia) حالة فقدان خطيرة للقدرة الذهنية بصورة شاملة فوق المتوقع بسبب التقدم في العمر في شخص كان ذهنه طبيعياً، قد يكون الضرر مستقرًا

"مالدينا"

نتيجة إصابة شاملة في الدماغ .. ولا يعد الخرف مرضًا بل متلازمة غير محددة.. وقد يصيب مناطق الذاكرة والانتباه واللغة..
مالدينا بعد أن مسحت وجهها الغارق بوشاحها: وكيف يتم تشخيصه؟!

د. ويلمن: في البداية يجب أن تظل الأعراض باقية في الشخص لمدة ستة أشهر على الأقل ويسمى الخلل الذهني لأقل من ستة أشهر هذيانا (Delirium)..
مالدينا: ما أعرفه عن أعراض الخرف هو فقدان الذاكرة (Amnesia) أو خللاً فيها.

د.ويلمن: ليس هذا وحسب، فهناك أعراض أخرى للخرف، كانهدام المقدرة على التعلم والتفكير والتذكر، إهمال الشخص لنفسه وعدم قدرته على ضبط نفسه، فيصبح ذا سلوك مختل، إنكار الأقارب، ولن تصدقي بأن أخبرتك بأن الخرف قد يؤدي إلى الاكتئاب مالدينا: حقاً!!

د.ويلمن: نعم فهناك ٢٠-٣٠٪ من الأشخاص المصابين بالخرف يصابون بالاكتئاب، و٢٠٪ يعانون القلق، وبعضهم الهيجان والذهان وغيرها من السلوكيات العدوانية..

مالدينا: هل يعتبر الزهايمر المسبب الوحيد للخرف؟!
د.ويلمن: يعتبر الأكثر شيوعاً، ولكن هناك أسباب أخرى، و الأشكال الوراثية للخرف كالخرف الوعائي، الخرف الجبهي، خرف فيروس نقص المناعة المكتسبة (HIV) من الأسباب أيضاً تنكس الفص الجبهي الصدغي ومرض هنتنغتون..

مالدينا: وكيف تتم معالجة الخرف؟!
د.ويلمن ضاحكاً: كم تحبين طرح الأسئلة يا مالدينا.
مالدينا باسمة: أنت بحر من العلم د. ويلمن!

"مالدينا"

د. ويلمن: العلمُ بحرٌّ وأنا لا أملك سوى شقّ قطرة منه.
مالدينا مندهشة: كل هذا وتعتبره شق قطرة، ياللهول، ماذا لو كانت قطرة كاملة لسحقت الكون بعقليتك، أنت حقًا عالم..
أطلق د.ويلمن ضحكة طويلة ثم أردف: لا تتملّقي كثيرًا يا ابنتي، دعينا نعود لموضوعنا الأهم الذي جئت لأجله ولكن قبل هذا، دعيني أخبرك بأن هناك أنواع قابلة للعلاج وأنواع غير قابلة، قد تستخدم مشبطات (الكولين إستريز) في المرحلة المبكرة (Early Stage)، ويمكن معالجته بالمعرفة السلوكية والتثقيف والدعم العاطفي لمرضى الخرف..

مالدينا: هذا يعني أنه ما من دواء ولا شفاء للخرف؟!
د. ويلمن: حتى وإن كان هناك بعض العقاقير فهي تستخدم لعلاج الأعراض السلوكية أي أنها لا تؤثر على الخلل الوظيفي.
مالدينا: يا للأسف.. دكتور ويلمن، هل للخرف والزهايمر علاقة بالاضطرابات الانفصالية؟!

د.ويلمن: الاضطرابات الانفصالية (Dissociative disorders) تتضمن تشوشًا وانهيًا للذاكرة والإدراك والحس ولكن بشكل مؤقت، وقد تكون ناتجة عن صدمات نفسية في الغالب...
وهناك خمسة أنواع منها، فقدان الذاكرة الانفصالي أو التفارقي (Dissociative amnesia) وينجم هذا الاضطراب عن صدمة نفسية أو عندما يكون الشخص في ظل ضغوطات كبيرة، ويعتبر فقدان مؤقت للذاكرة أي أنه يتم استرجاعها.
والاضطراب الانفصالي يهاجم الشخص فجأة أو تدريجيًا، لدقائق، ساعات، أيام، أسابيع، شهور، أو حتى سنوات، الأمر مرتبط بمدى شدة الصدمة للمريض .

"مالدينا"

مالدينا: هذا يعني أن الاضطراب الانفصالي يختلف تمامًا عن الشُّراد الانفصالي (Dissociative Fugue)

د.ويلمن: يختلف تمامًا، فالشُّراد الانفصالي ينتج عن فقدان ذاكرة مؤقت للهوية بشكل متنقل عشوائي، يكون الشخص فاقداً لإدراكه حول هويته ومعلوماته الشخصية، أو رحيل غير مسبق التخطيط، بشكل مفاجئ!!

مالدينا: شروداً ذهنيّاً إذّا!

د.ويلمن: لا، الشرود الذهني يختلف عن الشُّراد الانفصالي، فالشرود الذهني أو التشتت الذهني ليس فقداناً للذاكرة بل هو فقدان الشخص إحساسه بالمكان، والزمان. إذ تمر عليه لحظات من السرحان والشرود في الذهن ولكن يزداد الأمر خطورة عند بعض الأشخاص بحيث يصبح مشكلة تلازمهم في أغلب الأوقات.

مالدينا: هل له علاقة بمتلازمة جوسكا؟! (Juska

Syndrome)

د.ويلمن: متلازمة جوسكا اضطرابات عقلية نفسية تؤثر بشكل ملحوظ على نفسية الإنسان بحيث يقوم بخلق محاورات وسيناريوهات افتراضية بينه ونفسه دون أن يبوح بها للآخرين، أي أنه يعيش في الخيال أكثر من الواقع، وعادة ما يصاب بها الأشخاص المنعزلين والانطوائيين خاصة أصحاب الأفكار والأحلام الكبيرة حين يعيشون واقعاً لا يؤمن بأفكارهم ونجاحاتهم فيضطرون إلى تخيل أشخاصاً وحوارات في الخيال قد يتحدثون إليهم بصوت مسموع أو عكس ذلك، سواء بطريقة سلبية أو إيجابية، وعلاقة هذه المتلازمة بالشرود الذهني هي أنه لا يتم الغوص في أغوار الأحداث التخيلية إلا عن طريق الشرود الذهني والغياب عن الواقع بشكل مؤقت..

"مالدينا"

أسبابها كثيرة كانهدام التواصل الاجتماعي، الكبت والحرمان لأسباب عائلية ربما، فقد تجددين الكثير من الأطفال الذين لا يعتني بهم أهلهم نفسيًا أو يقدمون لهم العطف والرعاية النفسية اللازمة يصابون بهذه المتلازمة تعويضًا عما فقدوه، أو عندما يشعر الشخص بالخذلان تجاه الآخرين؛ لأنه يشعر أنهم لا يفهمونه أو يصغون إليه أو يهتمون لأمره فيبحث عن الاهتمام بنفسه من خلال هذه المحادثات والتي أطلق عليها علماء النفس بمسمى (الحديث الذاتي).. مالدينا ضاحكة: اووه.. د.ويلمن!!! أيقنت الآن بأنني مصابة بهذه المتلازمة منذ زمن!!

د.ويلمن: احذري مالدينا فإنها إن تطورت تؤدي إلى مشاكل نفسية أخرى، كالإكتئاب والقلق والفصام والهذيان وانعدام الشغف في الحياة، وقد تؤدي إلى دفع الشخص للانتحار لأن الشخص المصاب بها غالبا ما يفكر في الأشياء السلبية التي تزيد من تماهي شعوره بالحياة والطاقة الإيجابية..

مالدينا: سأحاول.. ثم إنني أعاني النسيان بشكل كبير هذه الأيام، أضع هاتفي في مكان ما ثم بعد دقائق أنسى أين وضعته، أغادر الشرفة ثم أتوقف عند منتصف غرفة المعيشة لأنني نسيت لماذا غادرت الشرفة، أحيانا أتوقف عند منتصف عتبات المنزل وأنسى هل أنا أصعد أم أهبط، بل أنسى لماذا أفعل هذا بالفعل، أنسى الكثير من الأولويات، أنسى نفسي أحيانًا.

د ويلمن: النسيان في مرحلة كهذه طبيعيًا، وذلك بسبب التراكمات والأولويات والضغوطات النفسية والإجهاد الذهني، على سبيل المثال ربما وضعت هاتفك على الطاولة وأنت تفكرين في أول يوم مزاوله للمستشفى، قد تكوني غادرت الشرفة لإعداد كوبًا من القهوة أو شرب الماء ولكن ذهنك كان منشغلًا بالتفكير حول أمر آخر،

"مالدينا"

ربما حين نزلت من العتبات انهمك عقلك في تخيل أول مقابلة لك مثلاً للأطباء والمرضى الجدد الذين ستقابلينهم، أي أنك تقومين بالأشياء وذهنك يفكر في أشياء أخرى، والإنسان بطبيعته الفسيولوجية لا يمكنه التركيز على القيام بأمرين في وقت واحد..

مالدينا: هذا مهلك للغاية.. لقد بدأ الأمر يقلقني وبشدة

د.ويلمن: حاولي أن تضعي مخططاً مجدولاً من أول يوم تستيقظين به، عن الأولويات التي تقومين بممارستها بالترتيب، كي تترتب في دماغك بالتالي لا تظلين منهمكة ذهنياً بتخيل كيفية إنجازها على الدوام، هذا سوف يساعدك على التقليل من مشكلة النسيان لأنه يقلل من التفكير الزائد في الأمور الأخرى أثناء القيام ببعض الأعمال.

مالدينا تهز أكتافها بشرود: لقد سحقتنا الحياة مبكراً، هل هذا عمر الزهور الذي يتحدثون عنه؟!

د.ويلمن: اعتني بصحتك الجسدية والنفسية مالدينا، تبدين هزيلة كجذع شجرة مسنّ، وكأنك لا تأكلين ولا تشربين، انظري إلى نفسك في المرآة، عينيك غائرتين وأكتافك منخفضة وظهرك محدودب ووجهك شاحب بسبب قلة النوم أيتها المجنونة وو.

مالدينا تقاطعه جادة بابتسامة: لا عليك من وجهي وأكتافي ونومي، دعنا نعود للأمر

المهم..

د. ويلمن يضع كوب القهوة على الطاولة ليشعل غليون السيجارة: لم أخبرك بعد بالأنواع الأخرى للاضطراب الانفصالي.. مالدينا: أعرفها جيداً، هناك أيضاً اضطراب الهوية الانفصالي بحيث يتقمص الشخص شخصيتين أو ما يطلق عليه باضطراب (تعدد الشخصية)، وهناك الاضطراب الانفصالي غير المحدد ولا

"مالدينا"

ينطبق على تلك الاضطرابات المحددة، الاضطراب العاطفي الوجداني أيضاً يعتبر متأرجحاً بين الاكتئاب السلبي والهوس الإيجابي، الابتهاج، الغضب، وقد اصطلح تسميتها بقطبين الموجب والسالب..

د.ويلمن: أحسنت مالدينا، فاضطراب أحادي القطب (Unipolar disorder) يعتبر اضطراب الاكتئاب الكبير، بينما يختلف عنه (اعتلال العاطفة) (Dysthymia) بحيث يكون أقل اكتئاباً قد يستمر على الأقل لسنتين..

مالدينا: يختلف عنهما اضطراب ثنائي القطب (Bipolar) والذي قد تم تصنيفه إلى أن مرضى النوع الأول مصابين بهوس فقط أو هوس واكتئاب كبير، أي نوبات متعاقبة، أما النوع الثاني فيكون هناك هوس واكتئاب معاً ولكن يتعاقبان بشكل خفيف، وقد يتم ملاحظة الاكتئاب لكن الهوس لا يكون ملحوظاً لأنه خفيفاً حيث أن الهوس الخفيف لا يسبب خللاً اجتماعياً يمكن ملاحظته كما يفعل الاكتئاب..

د.ويلمن: جيد مالدينا، أخبريني إذا، ما أكثر المسببات لهذا النوع من المرض؟!

مالدينا: ربما بسبب اكتئاب انفعالي، أي توترات نفسية، أو اجتماعية كالسجن، الطلاق الفراق وغيرها..

د. ويلمن ضاحكاً: يبدو أننا سنظل نبحر في السيكولوجي وننسى الأمر الذي أتيت لأجله مالدينا..

مالدينا مبتسمة: معك حق.. حسناً إذاً هذه المرة فعلاً سنعود للأمر الأهم... لقد ظهرت نتائج التحاليل للضحية راندا بنجامين لكنها غريبة بالفعل.

د.ويلمن جاداً: ما الغريب فيها؟!

"مالدينا"

أخرجت أوراق الفحوصات من حقيبتها فناولتها إياه: انظر بنفسك!!

ظهرت ملامح الصدمة على وجه د. ويلمن ثم قال: حيوانات الجاني المنوية تتواجد فيها بالفعل ولكن بشكل مضاعف.. عددها كبير للغاية .. وهذا يعني أن الضحية قد تعرضت للاغتصاب من قبله أكثر من مرة ومرة ومرة.. مسابقة.. بل تقدر حوالي ٦٠ مليون حيوان منوي هذا لا يُصدق!!

مالدينا تومئ برأسها: بل هناك أمرين أكثر غرابة!!
د. ويلمن: ما هما؟!

مالدينا: عندما كشفت على الضحية، اتضح أنها فقدت عذريتها منذ زمن وهذا يعني أنها قد تكون كما قلت في البداية، متزوجة.. ألا يتوافق مع عدد الحيوانات المنوية الهائلة لنفس الشخص فيها..

د. ويلمن: ماذا عن الأمر الآخر

مالدينا: الضحية قد تعرضت للإجهاض (Abortion) أكثر من مرة أيضاً.. ألا يبدو هذا غريباً أيضاً!!
د. ويلمن: كيف عرفت هذا..

مالدينا: أولاً أخبرني كيف يتم التفريق بين الإجهاض التلقائي والمتعمّد؟!

د. ويلمن: الإجهاض التلقائي (Spontaneous abortion) يحدث تلقائياً لأسباب متعددة، ومن الأسباب الشائعة للإجهاض التلقائي قد تكون ناتجة عن أمراض عامة مصابة بها الأم، كالتهاب النيفرونات في الكلى (Nephritis)، الحُمى، الزُّهري (Syphilis) أو ارتفاع ضغط الدم .. وقد تكون هناك أمراض موضعية منها فرط تنسج بطانة الرحم (Utrine hypoplasia)، أما بالنسبة للأسباب

"مالدينا"

الأكثر شيوعاً والتي تنتج عن الطفل، هي إما أن يكون مشوهاً خلقياً أو بسبب زيادة حجم السائل الأمينوسي الذي يحيط بالجنين داخل الرحم (Polyhydraminus).

مالدينا: هل من الممكن أن تجهض المرأة قانونياً!
د.ويلمن: نعم، فعندما تكون المرأة معرضة للخطر فيتم إجهاض الجنين حفاظاً على سلامة حياتها.
مالدينا: خطر مثل ماذا؟!

د.ويلمن: كأن تكون مصابة ببعض الأمراض الموضعية مثل سرطان الرحم وعنق الرحم، أو أمراض عامة منها، أمراض القلب المتطورة، فشل الكلى المزمن، ارتفاع ضغط الدم المتطور، عدم مراقبة السكري، أو أمراض رئوية كالتهاب السل الرئوي..
مالدينا: ماذا عن الإجهاض المتعمد؟!

د.ويلمن: الإجهاض المتعمد أو الإجهاض الجنائي (Criminal abortion) أنواع يا مالدينا، قد يكون عاماً (General) أو موضعياً (Local) أو عن طريق الأدوية (Abortifacient drugs)..

مالدينا: أخبرني ماذا يعني كل واحد منهم!
د. ويلمن: الإجهاض العام قد يكون بسبب القفز من الأعلى أو حمل أشياء ثقيلة.
بينما الموضعي قد يكون من قبل نوعين من الأشخاص، إما عن طريق شخص جاهل غير محترف (Nonprofessional persons) وإما أن يكون طبيباً عن طريق أخصائي محترف (Professional person).

بالنسبة للأدوية فهناك أنواع كثيرة منها يسبب الإجهاض منها:

"مالدينا"

[Ergot] التي تسبب تقلصا للرحم وقد لا يحدث توسعاً لعنق الرحم وبالتالي تسبب انفجاراً للرحم، أو (Apoil) نباتي المنشأ، كوينين (Quinin)، الرصاص، أو بعض المسهلات القوية مثل زيت الخروع إذ يسبب تقلصا للرحم ..

مالدينا: حسنا لقد قرأت ما قلته لي الآن في إحدى مواقع الإنترنت حين لم تجب علي ليلة البارحة، وأدركت أن إجهاضاتها السابقة لم تكن تلقائية، بل متعمدة، و لم تكن عامة، بل كانت موضعية.. وربما عن طريق أدوية.

د. ويلمن: وكيف عرفت إذن أنها كانت موضعية!؟

مالدينا: ربما قامت بإدخال أجسام غريبة إما إبرة أو أعواد الأذن القطنية (Cotton stick) إلى مهبلها، أو أنها استخدمت مواداً مهيجة كالخارصين أو الزئبق (Arsenic or Mercury) عبر المهبل إلى رحمها فأدى إلى تمزقه وتسممه، أما عن الطريقة الأخرى التي قد لا أعتقد أنها قامت بها فهي أنها ربما قد قامت بإدخال فوهة دوش مع معقمات أو أيودين فأدى إلى انفصال الكيس عن الرحم..

د. ويلمن: كيف خمنت أنها ربما قد استخدمت كل هذه الطرق أو حتى إحداها؟!

مالدينا: عندما قمت بالفحص عليها لأتأكد من عذريتها إن كانت قد فُقدت للتو أم قديماً، اكتشفت أن مهبلها كان مشوهاً وممزقاً بطرق عشوائية قديمة وحديثة.. كما أن رحمها قد يتطلب استئصالاً (Hysterectomy) في أقرب وقت ممكن.. إنها تتسمم وقد تموت في أي وقت، لأنها على ما يبدو قد أجهضت حديثاً وهناك بقايا بكتيرية في رحمها ومهبلها بعد الإجهاض.. لذا إنها معرضة للتخمج (Sepsis).. وهذه من مضاعفات الإجهاض المتأخرة التي قد تؤدي إلى وفاتها..

"مالدينا"

د. ويلمن: وقد تكون أجهضت كل تلك الإجهاضات عن طريق
أخصائي

مالدينا: لا أعتقد، فالإجهاض عند اخصائي لم يكن ليخلف
وراءه كل تلك التشوهات على رحمها(uterus) ومهبليها. سواء
كانت الطريقة عند إدخالها إلى رحمها، أو التوسيع عبر عملية أو حتى
استئصال البويضة..

د. ويلمن: مالدينا، ما تقولينه يعتبر حساس للغاية.. يجب أن
تؤكد من الأمر جيداً قبل أن تخبري به أحداً..

مالدينا: أنا متأكدة تماماً أن هذه الفتاة قد تعرضت للاغتصاب
لمرات متعددة سابقة، بل وحملت وأجهضت بطرق غير شرعية
لأكثر من مرة.. ويجب أن أثبت هذا الأمر إن تيقنت أنها ربما
استخدمت الطريقة الأخيرة.

د. ويلمن: تقصدين الأدوية ؟

مالدينا: بالضبط

د. ويلمن: هذا صعب ولن تستطيعي الحصول عليه.. ثم إنك
حتى عنوان منزلها لا تعرفينه.. فكيف تقومين بالأمر.. مالدينا،
الدكتور بينرال وكلك باكتشاف ومعرفة فيما إن كانت الفتاة قد
تعرضت للاغتصاب.. ها أنت ذي أظهرت جدارتك واتضح الأمر
بأنها فعلاً تعرضت للاغتصاب بل ولأكثر من مرة.. ولكن أمر
الإجهاض لا تقحمي نفسك فيه إن أردت نصيحتي!!

مالدينا: هذه الفتاة مضطهدة.. ويجب أن أحررها من ظلم

تعيشه!!

د. ويلمن: اسمعي مني يا مالدينا.. قلمي الفحوصات
والإجراءات التي قمت بها والنتائج التي توصلت إليها د. بينرال،

"مالدينا"

وأغلقني هذه الصفحة دون أن تقحمي نفسك في مصائب أنت في غنى عنها..

مالدينا تحمل حقيبتها وأوراقها وهي تقف: لا تقلق لن يكون هناك أي مصائب.. أشكرك على كل ما قدمته لي .
د. ويلمن بقلة حيلة: حسنا إذن. براحتك.. بالتوفيق..

حين ركبت مالدينا سيارة الأجرة للعودة إلى منزلها، ظلت تُفكّر وهي تتأمل الناس من خلف الزجاج، وكيف أن الأشياء تبدو كما لو أن تتحرك مع تحرك السيارة وغمغمت في قرارة نفسها، هل نحنُ أشياء؟! في الركنِ من هذا العالم المليء، الفارغ، الكبير، الصغير، الموازي، المماثل، النكرة، المعرف، المثالي، السيء، الملّون، الرمادي، القابع بين متاهاتٍ ثابتة ذات نهايات لم تولد من وكرٍ أي بداية، ذات معالمٍ وعوالمٍ وعالمٍ، ينسب نفسه لأشياء في البداية لم تكن أشياء، وفي النهاية لن تكون أشياء، لأن لا أشياء في الأشياء، ولا شيء يدعى شيء، بل هناك - لحظة - تنجبها على مدار أنفاسك الخائرة أو المتسارعة، نبضات قلبك المضطربة، وشرابينك الهائجة، وصماماتك الساخطة، التي تكاد تفجر نفسها بعنفوان لتنتشي تحرراً من عبودية نفسها بالأمس واليوم والغد حين تفشل في مجابهة الخوف البهيم، الفراغ الوجودي، ملل التكرار، ورغبة الفرار، واقتناء الانكسار من أسواق السعادة المرئية اللامرئية، القرية البعيدة، المعقدة البسيطة، المنشورة على حبالِ اليابسة، يابسة الغرق، الغرق المنسوج من متاهة يابسة، ويابسة وقعت في بئر متاهة، ولا شيء يبدو واضحاً جلياً رغم الوضوح، ولا شيء يبدو مربكاً رغم بشاعة الغاية، والغاية مهلكة، والمهلكة صدى تحرر من عالم الأوهام، وما الأوهام؟ منحدرٌ يخطف كل أشيائك، وإن أخبرتك قبل قليل بأن لا شيء يدعى شيء، فهذا المنحدر ينتشي الأشياء، يحتسيها كالنبذ رغم مراراتها ولساعتها، وهكذا يحدّر لون الشيء، صوت الشيء، عمر الشيء، أنفاس الشيء، طاقة الشيء، الشيء الذي لم يكن شيء، حتى تنام الأشياء، حتى تعزي نفسها، نحنُ أشياء؟!!

توقفت السيارة عند باب منزلهم وانقطع حبل أفكارها ثم دخلته برأس مشوش وأفكار مزدحمة.. أعدت كوب قهوة لنفسها بعد أن

"مالدينا"

قامت بحمام بارد سريع، ثم عادت لتتأمل الفحوصات والنتائج التي دونتها. دخلت إلى غرفتها أختها الكبرى وسألتها عما حدث معها بالأمس وكيف كان يومها الأول في المستشفى، فحدثتها عن كل ما جرى من الأول إلى الآخر كعادتها حين تذهب إلى أي مكان فتعود لتخبرها عن كل شيء.

مالدينا: وهذا ما حدث يا تولا
تولا: غريب حقاً.. هل عرفت اسمها
مالدينا: نعم، اسمها راندا بنجامين
حدقت تولا بعينيها مشدوهة: أعيدي أعيدي الاسم!!!
مالدينا مستغربة: راندا... بنجامين
تولا: يا إلهي.. يبدو أنك لم تعرفيها لأنك كنتِ تدرسين في مدينة أخرى..

مالدينا باهتمام: لماذا هل تعرفينها أنتِ؟!
تولا: نعم نعم نعم، هذه جارتنا راندا.. وبالفعل سمعت أنها كانت تحمل وتجهض في كل مرة تحمل فيها.. كنت أشفق على زوجها المسكين لأنه كان يتمنى أن يرزق بأولاد حسبما يقولون. مهلاً مهلاً.. مهلاً.. نعم نعم.. لقد كان زوجها منذ الأمس يسأل كل الجيران عنها لو رآها أحدهم.. لكنه لم يجدها بالأخص أنه اعتاد عدم خروجها من المنزل واحتكاكها بالناس.

وقفت مالدينا ثم سارت باتجاه تولا باهتمام: هل أنتِ متأكدة.. وما الذي تقصدينه بزوجها، هل هي متزوجة؟!
تولا: نعم نعم متزوجة منذ سنوات. لكن تلك المرأة غريبة الأطوار فهي لا تحب الناس وليست اجتماعية..
حملت مالدينا معطفها وارتدت كندرتها ثم قالت بعجلة: أريني موقع منزلهم من شارعنا..

"مالدينا"

تولا: ولكن..

مالدينا: أسري يا تولا!!

خرجت معها تولا حتى وصلتا إلى منزل صغير فقير بباب خشبي، طرقته مالدينا ثم فتح لهم رجلا كئيِّبًا بلحية كثيفة وشعر أشعث يدخن سيجارة بهدوء: من أنتما مالدينا بارتباكٍ: في الحقيقة.. سمعت أنك تبحث عن... عن راندا.

اقترب الرجل بعد أن رمى السيجارة ثم قال: نعم.. أين تكون، هل رأيتها!!

مالدينا تتراجع إلى الوراء قليلاً: يجب أن أتحدث إليك قبل أن تلتقيها، يجب أن أعرف كل شيء!!
الرجل متجهماً: تعرفين ماذا!!

مالدينا: حسنا حاول أن تهدأ.. سأطرح بعض الأسئلة لتجيب أنت عنها ومقابل هذا هو إخبارك أين تكون راندا..

بعد لحظات دخلت إلى منزله صحبة أختها تولا بشيء من الخوف، وقد لاحظتا الفوضى العارمة التي تحل في المكان، رائحة الرطوبة، والغبار الذي يغطي الأسطح والأرض، والآرائك، وكأنه منزل هجره أهله لسنوات، أمرته أن يحضر جميع الأدوية التي تتواجد في منزلهم، وبعد لحظات من الرفض طلبت منه أن يسمح لها بالبحث والتفتيش بين أرجاء المنزل عن الأدوية بنفسها.. وبصعوبة سمح لها بفعل ذلك، وبعد بحث طويل صحبة أختها تولا عثرت أسفل السرير كيساً صغيراً أبيضاً فتحتة إذا بداخله قارورة زجاجية ممتلئة إلا قليل (بزيت الخروع) و قارورة بلاستيكية بيضاء بداخلها (الأيودين) وإضافة إلى دوائيّ (الإرجوت والأبويل) ولكن مستخدمة بشكل قليل..

"مالدينا"

عثرت تولا على كيس أحمر مربوط موضوع داخل خزانة
التياب المتناثرة بشكل عشوائي ثم توجهت لمالدينا....
قالت مالدينا لتولا: كما توقعت.. كانت تستخدم الإجهاض
الموضعي أكثر من الأدوية.
تولا: كيف؟

مالدينا: انظري إلى الخروج، الآيودين، والأدوية أيضاً، لم
تستخدمها بشكل كبير..
تولا: إذن.. لم تكن كما يقال عنها تجهض على الدوام إجهاضاً
تلقائياً.. بل كان إجهاضاً متعمداً.

مالدينا تتأمل الغرفة والعبث الذي يحل فيها وكل ما بها مقلوبا
رأساً على عقب: لماذا تفعل راندا كل هذا.. طالما هي متزوجة!!
تولا: دعينا نغادر هذا المكان، فزوجها يبدو مرعباً..
مالدينا: حسنا لنذهب، ولكن يجب أن نأخذ ذلك الأحمق
معنا.

تولا: إلى أين!!
مالدينا: إلى المستشفى.
تولا: لماذا؟

مالدينا: سأجري له فحص الـ DNA لأرى مدى تطابقه
حيواناته المنوية مع تلك التي وُجدت في الضحية!!
تولا: لقد تشوش عقلي.. كيف كيف، إنه زوجها كيف تقول
عنه اغتصاب..

مالدينا: قد لا يكون هو من فعلها، ربما يكون هناك شخصاً آخر
يقوم بفعل الجريمة لكنه يرغمها على السكوت بحجة أمر ما.. من هي
الحمقاء التي سيعثرون عليها مرمية على الرصيف بحالة يرثى لها
ويتضح أن الجاني زوجها، لا أعتقد بأنه زوجها بتاتاً..

"مالدينا"

تولا: إذن، هل نخبره بالأمر؟!
مالدينا: ليس قبل أن تظهر نتائج الحمض النووي..
تولا تتذكر: انظري إلى هذا الكيس أيضًا عثرت عليه في خزانة
الثياب ويبدو أن بداخله أدوية أخرى..
فتحت مالدينا الكيس ثم عثرت على أدوية مختلفة فهممت: ما
هذه الأدوية الغريبة!..

تولا: أخبرني عنها د.ويلمن قدي يكون يعرفها..
مالدينا: حسنا ولكن ليس الآن.. دعينا نذهب.
تعثرت تولا قبل أن تغادر المكان فإذا بها تلمح كيسًا صغيرًا به
مسحوقًا أيضًا أسفل منضدة المرأة ثم غمغت بهمس: مالدينا
مالدينا بهمس: ما بك؟!
تولا: انظري!!

أخفضت مالدينا رأسها إلى حيث أشارت تولا ثم حدقتا
ببعضهما فغادرتا المكان على الفور خلسة دون أن تقابلاه مجددًا.
تولا وهي تنظر إلى الخلف تمشيان بخطوات سريعة تزدرد لعابها:
إنه مدمن!!

مالدينا: عودي إلى المنزل وأنا سأذهب إلى د.ويلمن.
تولا: لماذا؟!
مالدينا وهي توقف سيارة أجرة عابرة من أمامهما: سأخبرك
لاحقًا، انتبهي لنفسك.
تولا ملوحة بيدها لمالدينا التي ركبت سيارة الأجرة وأغلقت
الباب الخلفي: انتبهي لنفسك..

"مالدينا"

وصلت مالدينا إلى مبنى كبير يضج بالناس، وكان يبدو عليهم
طلبة جامعة ثم ظلت تعدو بخطوات متسارعة متجاوزة ازدحاماتهم
في العتبات والأروقة والأبواب، وظلت تسأل هنا وهناك فيما لو رأى
أحدهم د.ويلمن.

وقبل أن تصعد إلى الطابق الثالث أوقفها صوت من خلفها بنبرة
تشي بالغرابة: مالدينا!

استدارت مالدينا فتبسمت فور رؤيتها له ثم نزلت إليه ركضًا
محاولة استعادة أنفاسها: ما الأمر، هل هناك مستجدات جديدة،
للتوقابلتك صباحًا..

مالدينا: هناك أمر خطير للغاية..

د.ويلمن متلفتًا يمنة ويسرة: اتبعيني إلى مكثي.

أوقفه أحد الطلاب العابرين: د.ويلمن حان وقت محاضرتك.

د.ويلمن معلقًا نظارته على عنقه: اسبقوني إلى القاعة وإن

تأخرت خمس دقائق فالمحاضرة مؤجلة.

مالدينا: ولك

د.ويلمن: انصرف يا بالس.

انصرف الشاب بالس ثم قال مهدئًا وهي يمشي مع مالدينا:

خذي نفسًا عميقًا.. ولا تقلقي بشأن المحاضرة سأعوضهم في أي

وقت، يبدو أن هناك مستجدًا خطيرًا إلا لما جئت إلى هنا..

مالدينا: أخطر مما تتخيل.

وصلت مالدينا و د.ويلمن إلى مكتبه ثم جلس على كرسيه بينما

جلست على مقعد مجاور فبادرت تشرح له بعجالة أنها عثرت على

عنوان الضحية وبعض الأدوية واتضح في النهاية أنه متعاطي.

د.ويلمن مشدوهاً: يا للهول!!

"مالدينا"

مالدينا: أثناء طريقي إلى هنا اطلعت على الأمر في بعض المواقع الإلكترونية التي تدلي بحوثاتها عن هذا الجرم المنتشر، وقد أوضح بعضهم أن الاعتماد (حالة نفسية جسدية ناتجة عن التفاعل بين الشخص والمادة أو الدواء الذي يتعاطاه ويعتبر الاعتماد مرحلة أولية ما قبل الإدمان، بينما الإدمان (addiction) حالة سمية مزمنة ناتجة عن الاستخدام المتكرر للدواء، ويعتبر مرض بيولوجي عصبي يؤثر في أحداثه وأعراضه عوامل جينية واجتماعية نفسية وبيئية أيضاً).

د.ويلمن: نعم يا مالدينا، ومن سلوكياته الخلل في السيطرة على تعاطي العقار، التعاطي بطريقة اضطرارية، التعاطي المستمر رغم الضرر أو الرغبة في التعاطي..

مالدينا: وقد تعجبت حين ذكر بأن منظمة الصحة العالمية (WHO) قد اعتمدت بالترتيب على سبعة أنواع من المواد أو الأدوية التي تسبب الإدمان.. الأفيونات (opioids)، إيثانول (ethanol or)، أمفيتامين (Amphetamines)، هالوسينوجينس (Alcohol)، القات (khat)، الحشيش (Cannabis).

د.ويلمن مندمجاً: جيد ما ذكرت يا مالدينا، فالعقاقير المعروفة أنها تسبب إدماناً تشمل عقاقيراً قانونية وغير قانونية بالإضافة إلى عقاقير يصفها الأطباء والعقاقير في الصيدليات لا تحتاج لوصفة فبحسب الجمعية الأمريكية لطب الإدمان ذكروا بأن العقاقير المسببة للإدمان أنواع منها:

المنشطات: (تسبب إدماناً نفسياً متوسطاً إلى شديد الانسحاب نفسياني ونفساني جسدي خالصان).. مثل الكافيين والنيكوتين والأمفيتامين وغيرها.

مالدينا: هل تعتبر المسكنات ضمن عقاقير الإدمان؟!

"مالدينا"

د.ويلمن: تسمى الأفيونات ومسكنات الألم (تسبب إدماناً نفسانياً خفيفاً إلى متوسط وإدماناً فيسيولوجياً شديداً وانسحاباً شديداً وسريعاً ولكنه غالباً ليس قاتلاً) مثل الهيروين والمورفين..
مالدينا: هل صحيح ما قرأته يا د.ويلمن؟! أن أخصائيين التخدير غالباً ما يكونون مدمنين!!

د.ويلمن: حقيقة مؤسفة يا مالدينا..

مالدينا: أووه. ماذا عن المهدئات والمنومات؟!

د.ويلمن: المهدئات والمنومات (تسبب إدماناً نفسياً خفيفاً إلى متوسط وإدماناً فيسيولوجياً شديداً وانسحاباً شديداً وسريعاً وقد يكون قاتلاً، مثل الكحول التي هي الإيثانول..)

مالدينا تأخذ كوب القهوة الذي وضعها د.ويلمن أمامها ثم ارتشفت منه رشفة فقالت: هل يعتبر تناول القهوة بإفراط إدماناً!!
د.ويلمن: ليس إدماناً بل تعوداً

مالدينا: ما الفرق؟!

د.ويلمن: التعود استخدام متكرر للمادة ولكنه لا تنطبق عليه معايير الاعتماد والإدمان.. ومعايير الاعتماد ستة:

منها الرغبة القهرية (Irresistible compulsive) وهو رغبة قهرية لا تقاوم لتناول عقار أو مادة معينة، ثم يليه (Tolerance to the effects of the drugs) التعالج مع آثار الدواء، أي أن الفرد يحتاج لزيادة الجرعة لتجربة نفس الآثار.. بالنسبة للاعتماد الجسدي (Physical dependence) فالفرد يحتاج إلى الدواء لوجود مزاج مزمن وحالة جسدية مع ظهور أعراض الانسحاب (Withdrawal symptoms)

مالدينا: ما الذي تعنيه بأعراض الانسحاب؟!

"مالدينا"

د.ويلمن: عندما يتوقف المدمن عن تناول العقار تظهر عليه أعراضًا جسدية ونفسية تبين أنه توقف عن التعاطي وبإمكانه تخفيف الأعراض عن طريق تناول المادة أو العقار مرة أخرى.. وهناك أيضا الانتكاسة (Relaps) أي أن المدمن يعود لتعاطي العقار بعد فترة طويلة من التوقف. بالطبع فإن له آثار ضارة (Detrimental effects) على صحته وسلوكه ومن ثم المجتمع ومن هم حوله.. فقد يقوم بارتكاب جرائم شنيعة للحصول على العقار ما إن تنتهي الجرعة التي معه...

مالدينا: حسنًا إذا وهل هناك مواد تدرج تحت مسمى التعود كما وضعت منظمة الصحة العالمية تلك المواد تحت مسمى الاعتماد أو الإدمان!!

د.ويلمن: بالطبع، منها القهوة، التدخين، القات، والقات يعتبر نبتة خضراء مخدرة تتواجد في بلاد اليمن يمضغونها حتى تنتفخ وجنتهم صغارهم وكبارهم، نساءهم ورجالهم، ولكنهم يعتبرون الأمر طبيعيًا لأنهم يعتقدون أنه من باب التعود لا الإدمان، بينما في الحقيقة تشمل الاثنين، فأعراض الانسحاب تظهر على الشخص حين يبدأ في التخلي عن هذه النبتة وتنطبق عليه معايير الاعتماد بشكل كبير، ومع أن هذه النبتة من أبلغ الأسباب المؤدية إلى الانحطاط الاقتصادي في بلدهم، بعدما اقتلعوا شجرة البن ووضعوا نيابة عنها تلك الأغصان المخدرة، إلا أنهم ما يزالون حتى اليوم يمضغونها بشكل يومي مستمر، وبدون أي عقوبات قانونية بل يباع في الأسواق كما تُباع الخضار.

مالدينا: هل من الممكن معالجة المدمنين إن أمكن؟!

د.ويلمن: على حسب المادة المتعاطية تتم المعالجة، ولكن بشكل عام فهناك ثلاث طرق، المعالجة بالانسحاب وقد يكون

"مالدينا"

مفاجئاً (Sudden) أو تدريجياً (Gradual) وسوف أطرح عليك سؤالاً الآن، لمن يُفضّل إجراء الطريقة الثانية!!
مالدينا: للمتعاطين لمدة طويلة..

د.ويلمن باسمًا: أحسنت مالدينا، وهناك أيضًا المعالجة
التدعيمية للأعراض (Symptomatic and supportive treatment) كالموازنة في الحمية الغذائية، تناول الفيتامينات، أو
بطريقة أخرى وهي طريقة التأهيل النفسي (Psychological rehabilitation) للتحكم في الأمراض النفسية ..

مالدينا: ذكرت قبل قليل أن الأفيونات تسبب إدمان
فسياولوجي شديد، ولكن كيف أستطيع التفريق فيما إن كان هذا
المدمن يتعاطى الهيروين أو المورفين..

د.ويلمن: من خلال الأعراض السريرية (Clinical picture)
مالدينا: كيف بإمكاننا ملاحظة ذلك؟

د.ويلمن: أولاً تحدث تغيرات عقلية (Mental change)
للشخص، نوم، نعاس، فقدان التركيز، فقدان الذاكرة وغيرها.. ثانياً
تغيرات في المزاج (Mood Change) بحيث يصبح الشخص مهملاً،
انعدام الاستمتاع تجاه أي شيء، اضطرابات في المزاج.. ثالثاً: تغيرات
أخلاقية (Moral change) يصبح غير موثوق ويرتكب الجرائم
للحصول على الجرعة ولا يكون اجتماعياً أبداً. رابعاً وهي الأكثر أهمية
لتشخيص الأعراض هي الآثار الجسدية (Physical effects) بحيث
يعاني المدمن فقدان الشهية (Anorexia)، سوء تغذية
(Malnutrition) وفقدان الوزن (Weight loss) ثبوت وتوسع
حدقة العين (Contracted pupils)، وهناك قد تلاحظين آثار
حقن على أذرعهم وبواطن أقدامهم.. أما في حالة الجرعة الكبيرة

"مالدينا"

الحادة (Acute overdose) فإنها تؤدي إلى فشل في الجهاز التنفسي العلوي (Respiratory failure) وصدمة (Shock) مالدينا: وما المظاهر الانسحابية التي تبدو على المدمن حين يترك تعاطي الجرعة !

د.ويلمن: سؤال جيد يا مالدينا، فالمظاهر تبدأ عادة من ال١٢-٢٤ ساعة لآخر جرعة يتناولها، ويندرج اختفاءها خلال سبعة إلى عشرة أيام ثم تختفي بقع تعاطي المورفين.. من المظاهر الانسحابية زيادة في الإفرازات كالدموع (lacrimation)، نزول المخاط من الأنف، والتعرق (Sweating) والإسهالات أيضاً (Diarrhea)

مالدينا: ماذا عن العلامات الحيوية (Vital signs)؟! د.ويلمن: جميعها ترتفع، النبض (Pulse)، التنفس (Respiratory rate)، درجة الحرارة (Temperature) وضغط الدم (Blood pressure).. أما في حالة المظاهر العامة. فإنه يحدث تقلصاً للبطن (Abdominal cramps)، تشنج العضلات (Muscular twitches) فقدان الشهية وأرق (Insomnia).

مالدينا: وفي حالته الحادة! د.ويلمن يزفر نفسها: أوو.. هذا يؤدي إلى الهذيان (Delirium) أو هوس حاد (Sever mania)..

مالدينا: أرى بأن مظاهر الانسحاب للأفيونات تختلف كثيراً عن عن مظاهر الانسحاب للكحول.. فالشخص المدمن يصاب بقلق (Anxiety) وقيء (Vomiting) وارتفاع في معدل نبضات القلب (Tachycardia).

د.ويلمن: مظاهر الانسحاب التي ذكرتها صحيحة، ولكن مظاهر الانسحاب لمدمني الكحول تمر عبر ثلاثة مراحل.. في المرحلة الأولى يكون الشخص مصاباً بالأرق والقلق ومشاكل في النوم وارتفاع

"مالدينا"

في نبضات القلب وانخفاض درجة الحرارة (hypothermia)، بينما المرحلة الثانية فيعاني هلوسات بصرية ورعشة كامل في الجسم وقيء.. المرحلة الثالثة تشترك مع مظاهر الانسحاب الحادة للأفيونات في الهذيان (Delirium).. وارتفاع تدريجي في درجة الحرارة.. فجأة بتر الاندماج العلمي الذي يملأ عقبه المكان رنة هاتف مالدينا حين ضج فجأة، وما إن شاهدت الرقم على شاشته فتحت لتسمع صوت أختها تولا تصرخ ببكاء: سوف يكسر الباب، ذلك الأحمق سيهجم على منزلنا وأنا لوحدي هنا. حدقت مالدينا بد. ويلمن الذي لم يفهم شيئاً ثم غادرت المكان ركضاً.

"مالدينا"

وصلت مالدينا ثم جرت نحو منزلهم بخوف وقلق كبيرين، لاحظت وجود آثار دماء عند عتبة باب المنزل المفتوح بشكل جزئي فانعصر قلبها و توجّست متجهة إلى الداخل تنادي بصوت مرتفع وهي ترى الدم يتجه نحو المطبخ: تولا!!

خرجت تولا من إحدى الغرف بعدما أدارت المقبض سريعاً متوجهة نحو مالدينا حتى ارتقت بين أحضانها باكية.

مالدينا تعانقها وتمسح على شعرها بوجل: ما ذا حدث، هل أصابك مكروه، طمئنيني عنك..

تولا تمسح دموعها: لقد حاول الاعتداء علي، ذلك اللعين المدمن.

مالدينا محدقة بعينيها تبلع ريقها: ماذا!!!!!!.... هل مسك بمكروه هل..

تولا: لا تقلقي، فقد، فقد دافعت عن نفسي
مالدينا وقد أحست بأن أنفاسها انكثمت: هل قتلته؟!
تولا:

مالدينا تهز أكتافها: تكلمي هل قتلته!!
تولا تنظر إلى باب المطبخ ثم ركضت نحوه مالدينا حتى عثرت على ذلك المدمن ملقيا على الأرض فاقتدا الوعي، اقتربت منه تضع سبابتها والوسطى قرب أنفه ثم قالت: لم يموت..

تولا من خلفها: دعيه يموت.. لقد ضربته على رأسه
مالدينا بتوتر: لا يجب أن يموت، يجب أن نعرف حقيقته أولاً، ثم إنه لو مات فستُقحمين في السجن يا أختي العزيزة، أحضري صندوق الإسعافات هيا لأضمده.

بعد دقائق انتهت مالدينا من تضميد رأسه حتى أوقفت النزيف وبدأ يستعيد وعيه شيئاً فشيئاً بعدما حقنته ببعض الأدوية

"مالدينا"

التي أحضرتها تولا من الصيدلية لتعويض ما فقدته من الدم أثناء
النزيف وتخفيف الألم .

حين استعاد وعيه كاد أن يهجم على تولا لولا أن مالدينا أوقفته
حين قامت بتهديده أنها ستعلم الشرطة عن إدمانه ومعرفتها بوجود
مادة تعاطي في إحدى أماكن منزله، ثم خضع للأمر ذليلاً فحاولت
مالدينا في إقناعه

مالدينا: اسمعني جيداً، أنت تعرف جيداً أنه بإمكانني إحضار
الشرطة الآن وإخبارهم عن حقيقة تعاطيك للمخدرات، ولكن إن
أصغيت إلي جيداً ونفذت ما أقوله حرفاً بحرف لن أخبر أحداً بشيء.
الرجل يقف على قدميه بإعياء شديد وتعب ثم قال مرتجفاً: أنا
جاهز للذهاب إلى المستشفى .

صمت لوهلة ثم رفع سبابته محذراً: ولكن حذاري تفكري لو
مجرد تفكير أن يعرف أحدهم بهذه الحقيقة، وإلا فإن نهايتك سوف
تكون شنيعة..

فغادرا المكان بعد وصول سيارة أجرة طلبتها تولا
تولا وهي تنظر إلى الرجل المترنح يجلس على المقعد الخلفي من
السيارة: أخشى أن يمسك بمكروه.
مالدينا تخرج رأس مسدس من حقيبتها اليدوية قائلةً دون أن
تثير انتباهه: لا تقلقي فكبسة واحدة لهذا الزناد ستفجر رأسه إن
حاول القيام بأي اعتداء أو تهوّر.
تولا مصدومة: مالدينا!!
مالدينا تربت على كتف تولا: هيا ادخلي إلى المنزل ولا تقلقي..

"مالدينا"

غادرت بثقةٍ بينما تولا فقد ظلت في المنزل تنظر إلى تلك الدماء التي تلوث الأرض بتوجس وارتياح.

حين وصلا إلى المستشفى أمرته أن يتبعها حتى وصلت إلى حجرة في آخر إحدى الممرات، دخلت إلى تلك الغرفة ثم غرست حقنة في عنقه حتى غاب عن الوعي، وضعت الحقبة على الطاولة المجاورة للسرير، وبعدها دخل د. ويلمن يغطي رأسه بقلنسوة قائلاً بقلق: سوف تقحميني بمصائبك يا مالدينا.

مالدينا: هيا يادكتور ويلمن، هذا آخر ما أطلبه منك، يجب أن نجري فحص الـ DNA لزوجها للتأكد من أنه ليس الذي قام بكل ذلك لراندا.

د. ويلمن يقترب من زوج راندا الذي وقع على الأرض ثم قال: هناك خدوش على عنقه، قد تكون الضحية حاولت الدفاع عن نفسها وبالأخص أنك قلت بأنك عثرت على بقايا دم تحت أظافرهما.. مالدينا: شارفنا الاقتراب من الحقيقة...

قام. د. ويلمن بأخذ سائل منوي من زوج راندا داخل المختبر بعد أن اتفقت مالدينا بطرقها العجيبة في الإقناع على ألا يخبر المخبري أحدا بشأن تواجد د. ويلمن في المختبر كونه لم يكن ضمن طاقم المستشفى.. وبعد لحظات طويلة وبعد أن أصيبت مالدينا بتوتر وقلق شديدين انتظاراً للنتيجة، حسم الأمر وظهرت تحاليل الفحص.. واتضح أن.. أن... نعم، أنه المتهم الوحيد لما حدث مع راندا، فقد توافق الفحصين للسائل المنوي (Seminal fluid) مع بعضهما، وحسمت النتيجة!!

غادر د. ويلمن سريعاً قبل أن يراه أحد ثم ما إن ابتعد قليلاً عن المستشفى حتى اتصل بمالدينا التي ما تزال مصدومة: الأمر غريب..

"مالدينا"

كيف تقول المرأة بأنها تعرضت للاغتصاب، عقلي لا يستوعب.. لقد كان ذلك زوجها، قال ذلك بنفسه.. وهناك أدلة الإجهاض أيضًا.

د. ويلمن: لقد استنتجت شيئًا واحدًا الآن.. ولكن يجب أن تذهبي إليها كي نتأكد منه

مالدينا: ما هو؟!

د. ويلمن: أسرعي إليها واسألها عما تعرفه عن اسم زوجها..

مالدينا: وبعدها؟

د. ويلمن: أخبريني بما تقوله أولاً وبعدها أخبرتك ماذا..

انطلقت مالدينا إلى حجرة المريضة، ثم فعلا سألتها السؤال ذاته ولكنها تفاجأت بها تصرخ بطريقة هستيرية، وفهمت من صياحها أن ذلك الرجل يقوم باضطهادها كل يوم وأنه يعنف بها بل إنها لا تعرفه أبدًا، وأنه يشكل خطرًا في حياتها، وحين أخبرتها مالدينا أن ذلك الرجل زوجها، صرخت المرأة رافضة وتقول أنه ليس زوجها مطلقًا.. ثم فجأة بدأت تتحدث حول مواضيع أخرى تارة تقول بأن اسمها ليس راندا بل إن اسمها روزا، وتارة تقول بأنها ترغب شرب الماء، ومرة تقول بأن لون قميص مالدينا ليس جميلًا.

قامت مالدينا بحقنها بمنوم حتى غابت عن الوعي.

ثم عاودت الاتصال بدكتور ويلمن وأخبرته عما قالته راندا ليجيبيها: إنها مصابة بالذهان!!.. و من نوع الفصام الاضطهادي أو ما يطلقون عليه (الزوراني، الشكاك) ويسمى أيضا ب Paranoid

مالدينا تبعجب: الفصام!!..

د.ويلمن: نعم، الفصام أو ما يطلق عليه شيزوفرنيا (Schizophrenia) ينتج عن تعطل عمليات التفكير وقصور في الاستجابات العاطفية الطبيعية، ومن أعراضه هلس سمعي، ضلالات اضهادية غريبة، أو كلام متناقض و تفكير مشوش، أي أنه يسلسل

"مالدينا"

أفكارًا وجمالًا غير مترابطة بقوة في معناها، بالتالي يعاني المصاب بالفصام شكوكًا اضطهادية وعزلة اجتماعية.

مالدينا: بالفعل فقد ذكرت أختي تولا أنها غير اجتماعية بل منعزلة على الدوام.

د.ويلمن: نعم، فهناك أعراض أخرى في علم النفس تنطبق على هذا المرض توصف بأعراض موجبة وسالبة.

فالموجبة لا يعاني منها معظم الناس ولكنها موجودة في الفصامين مثل الضلالات والتشويش والهلس السمعي والبصري والدوق وتعد هذه من مظاهر الذهان، الذي يطلق عليه سايكوس (Psychoses) ..

مالدينا: أرى بأنها تنطبق على راندا بنجامين، لكن ماذا عن أعراض الفصام السالبة؟!

د.ويلمن: في الأعراض السالبة يكون هناك نقصًا في الاستجابة العاطفية الطبيعية أو في العمليات الفكرية الأخرى قد يفقد الشخص رغبات عدة، كالرغبة الجنسية والعاطفية، تكوين العلاقات، وفقدان الدافعية.

مالدينا: انطبق على راندا النوعين من الأعراض، بالأخص نعدام الرغبة في الأعراض السالبة..

د.ويلمن: بالفعل..

مالدينا تمسح شعرها للخلف تائهة: لقد بدأت أفقد عقلي، هناك معركة تشن في ذهني.. مهلا دكتور ويلمن، هل الشخصية الفصامية هي نفسها مرض الفصام!!

د.ويلمن: علماء النفس ما يزالون يقولون أن الشخصية الفصامية ليست مرض الفصام، الشخصية الفصامية، شيزو تايل (Schizotypal) سمات سلوكية تميز صاحبها بأنه يتصرف ويفكر

"مالدينا"

بغرابة وهذا ما ينطبق مع سمات الشخصية الفصيمية شيزايد (Schizoid) والتي يتميز صاحبها بفقد الاهتمامات بالعلاقات الاجتماعية بحيث لا يرى قيمة لقضاء الوقت مع الآخرين.. وربما أيضًا الشخصية الشكاكة الزورانية (paranoid) الذي ذكرته قبل قليل بأنه يعد أحد أنواع الفصام، فهذه الشخصية تتميز بالشكوك غير المعقولة وسوء الظن بالآخرين.

مالدينا: ماذا يعني الفصام الزوراني الشكاك؟!

د. ويلمن: صاحب هذا المرض يكون مصابًا بضلالات أو هلس سمعي دون اضطراب التفكير أو الخلل السلوكي، أو السطحية العاطفية، وقد تكون الضلالات اضهادية تمامًا كما قد تعانيه هذه المريضة، أو اضطراب جسدي أو نفسي، أو قد يكون اضطراب جسدي نفسي في الوقت ذاته. إنها تتوهم بأنها تخضع لسيطرة زوجها وتعتقد عدوها.. كما أنها لو لاحظت تنقلت من موضوع إلى آخر، ما شأن شرب الماء، ولون قميصك بالسؤال الذي طرحته.. صاحب الذهان يتنقل هكذا بعشوائية غريبة من موضوع إلى آخر، يشعر بالاضطهاد حتى وإن لم يفعل له أحد شيئاً..

مالدينا: وهل هناك أنواع أخرى للفصام؟!

د.ويلمن: بالطبع، فهناك الفصام التجمدي أو التخشي (Catatonic) بحيث يظل المريض ساكنًا دون حراك، وفجأة تظهر عليه أعراض تهيجية بلا معنى، الفصام المبهم (Undifferentiated) توجد أعراض الذهان لكن معايير النوع الاضطهادي أو المضطرب التجمدي غير موجودة.. الفصام المتبقي (Residual) تكون فيه الأعراض حقيقية موجودة لكن بدرجة بسيطة.. الاكتئاب التالي للفصام والذي ينتج بعد مرض الفصام بحيث ما تزال هناك أعراض انفصامية متبقية، الفصام البسيط

"مالدينا"

(Simple) ففيه يتم التطور البطيء المتدرج لأعراض الفصام السالبة التي ذكرتها لك قبل قليل ولكن دون أي نوبات ذهانية سابقة .

مالدينا: أيهما يبقى لمدة أطول الفصام أم الذهان؟!

د.ويلمن: الفصام بالطبع فأعراضه تستمر لسته أشهر ولكن لا تتعدها بينما الذهان فقد يستمر لشهر أو أقل.

مالدينا: هل من الممكن أن يصاب الأشخاص المصابين بأمراض نفسية أخرى بالفصام!!

د.ويلمن: المصابين بثنائي القطب، واضطراب كل من الشخصية الحدية والعقارية والفصامية، والذهان، هؤلاء معرضون للإصابة بالفصام ..

مالدينا: إن كان الذهان جزءًا من الفصام فهل هذا يعني أن المعالجة واحدة؟!

د.ويلمن: بالتأكيد فالمعالجة الأساسية للفصام هي الأدوية المضادة للذهان (Antipsychotics) بالطبع مع المعالجة النفسية والاجتماعية.

مالدينا: تذكرت شيئًا. في الحقيقة عثرت في منزل راندا بعض الأدوية التي لم أفهمها..

د.ويلمن: ما هي هذه الأدوية

أخرجت مالدينا الكيس الأحمر من جيبها ثم قالت بعد أن نظرت إلى أسماء الأدوية كلوربرومازين (Chlorpromazine) وهالوبيرادول (Haloperidol) ..

د. ويلمن: إذا كما توقعت تمامًا.. هذه الأدوية من النوع النموذجي التقليدي الذي يستخدم لمعالجة الذهان لأنها تقوم بتثبيط مستقبلات الدوبامين (Dopamine receptor inhibitors) .

مالدينا: هناك دواء آخر

"مالدينا"

د.ويلمن: ما اسمه!

مالدينا: كلوزابين (Clozapine)

د. ويلمن: وهذا أيضًا يعتبر من أدوية الذهان ولكنه غير تقليدي غموضي، لأنه يقوم بتثبيط مستقبلات الدوبامين والسيروتونين (Serotonin).

مالدينا: هل بإمكان تلك الأدوية أن تعالج الأعراض السالبة والموجبة؟!

د.ويلمن: يعدّ الخطّ الأول لمعالجة الفصام مضادات الذهان والتي يمكن أن تخفف من الأعراض الموجبة حوالي ٧ إلى ١٤ يومًا بينما تفشل في التخفيف من الأعراض السالبة والخلل الذهني، وكما أنه من الضرورة تقليل مضادات الذهان لأنها تؤدي إلى الانتكاسات، هناك أيضًا كلوزابين (Clozapine) الذي ذكرته قبل قليل قد يُعطى للمرضى الذين يستجيبون بصورة ضعيفة للأدوية الأخرى لكنه قد يسبب أثرا جانبياً خطيرا في انخفاض كريات الدم البيضاء في أقل من ٤٪ من المرضى..

مالدينا: ما الحل إذن؟!

د. ويلمن: اذهبي إلى زوجها قد يكون استيقظ وأرغميه على إحضار عقد الزواج خاصتهم كي نتأكد من الأمر أيضًا ونحسمه..

مالدينا: ماذا عن أمر الإجهاضات المتكررة غير الشرعية؟

د. ويلمن: ربما تجددين الإجابة عند زوجها إن كان حقا زوجها. . بعد ذلك ذهبت مالدينا إلى حيث كان زوج راندا ممدداً وقد بدأ باستعادة وعيه وما إن رأى مالدينا أمامه حتى حاول الهجوم عليها لكنها أوقفته بقولها: راندا ليست بخير .

تسمر في مكانه ثم قال بقلق: أخبريني أين زوجتي وإلا قلبت هذا المكان رأساً على عقب..

"مالدينا"

مالدينا: سأطرح عليك سؤالاً واحداً فقط.. هل أنت حقاً زوج راندا؟!

زم شفتيه بغضب ثم قال مهدداً: ما هذه الأسئلة الحمقاء أيتها اللعينة، نعم زوجها

مالدينا: أثبت لي هذا

الرجل بصراخ: هل جنت يا فتاة؟؟

مالدينا: سأمنحك عشر دقائق فقط لتحضر عقد الزواج من منزلك، بعد العشر الدقائق هذه تكون زوجتك راندا قد اختفت إلى الأبد.

الرجل يفرك لحيته بغضب كبير: قسماً أيتها الطيبة الحمقاء لو يحدث شيئاً لزوجتي لأذبحنك..

غادر المكان مسرعاً ثم توجهت مالدينا إلى حجرة راندا تنظر إليها عبر النافذة الزجاجية بأسف.. فعادت إلى تلك الحجرة تنتظر عودة الرجل، وبعد وقت طويل عاد يحمل عقد الزواج ذا الغلاف الأحمر بين يديه، نظرت إليه مالدينا متفحصة لتجلس على الكرسي بهدوء: تبقى سؤالاً واحداً فقط..

قام الرجل بضرب العمود الذي يعلقون عليه السوائل الوريدية فحمل مشرطاً من العربة المجاورة بينما يتعرق ويديه ترتجف وأطرافه ازورقت من البرودة وهالات سوداء انحفرت تحت عينيه يقترب مهدداً.

لتكمل مالدينا بقلق تحاول إخفاءه: هل تستمع للسؤال أم أبلغ الشرطة عنك أنك مُدمن!!

بلع الرجل ريقاً ثم ارتخت يديه: لست مدمناً..

"مالدينا"

مالدينا بلا مبالاة: بلى مدمن.. ولم تتناول اليوم جرعتك لأنك
أضعتها، جلدك مثلج، أطرافك ترتجف، تشعر بالغثيان، عينيك محمرة
وحدقتك متسعة، تعرق بشدة ماذا تسمي كل هذا!!
سقط المشروط من يده ثم جلس على الأرض متكئا على جانب
السرير بارتجاف وإعياء: اسألي
مالدينا تضع ساقًا على ساق بهدوء: لماذا قامت زوجتك
بإجهاضات متعددة متعددة من قبل.. لا أعتقد أنك لم تكتشف
الأمر هذا أبدا..

الرجل بهدوء وشفتيه الشاحبة ترتجف : زوجتي مختلة عقليا..
إنها مصابة بالذهان منذ طفولتها.. وأبوها زوجنيها مقابل كيس من
مسحوق المخدرات.. ولم يسأل عنها حتى اليوم، إنها تخاف مني
كثيراً، وكل مرة تكتشف أنها حاملاً، تقوم بوسائل إجهاض متعددة..
بالطبع لا أمنعها من هذا لأنني أيضاً لا أرغب في أن يكون لدي أولاد..
لأب مدمن وأم مجنونة.. تعتقدين بأني اضطهدها وأعنف بها بينما أنا
زوجها، إنها تعيش بين خيال و واقع وتخلط بينهما.. لقد هربت
بالأمس من المنزل لأنها تقول بأني رجلاً غريباً ولست زوجها.. في
العادة كنت أغلق باب المنزل كي لا تغادره ولكن لا أدري كيف
استطاعت الهرب هذه المرة..

مالدينا بكره: بالطبع وأنت لم تتفهم كونها امرأة مريضة بغير
وعيتها وإدراكها وتركيزها.. عسى أن تبتلعك الأرض أنت وأمثالك..
الرجل بهدوء: أين راندا؟!

مالدينا تقف بلا مبالاة لتقول برفع حاجب: لن تعود إليك
الرجل: ما الذي تقصدينه..

مالدينا وهي تشير إلى الباب: سوف تبقى معنا وأنت ترحل من
هنا كي نبدأ في معالجتها..

"مالدينا"

نهض الرجل من مكانه ثم خرج مسرعاً يصرخ بين الممرات
ينادي باسم راندا حتى اصطدم برجل يرتدي بذلة رسمية، وما إن رآه
حتى أخبره أنهم يحتجزون زوجته لديهم ويصدقون ما تقوله فيه بينما
هي مختلة عقلياً. اتضح بأن ذلك الرجل مدير المستشفى العام فاطّلع
إلى تلك الحالة ثم أمر بإخراجها كونه لا يريد المشاجرة واختلاق
المشاكل مع رجل مثل زوج راندا.. أخرجوا راندا من المستشفى..
وقدمت مالدينا كل شيء إلى د. بينرال وغادرت المكان محتنقة..

قبل غروب الشمس بقليل، لا تدري كيف وجدت نفسها أمام باب تلك المقبرة لتلقي تحيتها بانكسارٍ تمضي بخطوات ثقيلة: سلام الله عليكم أيها الموتي، ثم أما بعد، فلا حالاً جيداً نحدثكم عنه، ثم إن الدنيا من بعدكم تماهت لذاتها، واستقرت في خواطرننا آلاف الغصّات، واستوقفنا الذكريات معكم كلما لاح علينا شبح ابتسامة شاحبة.

لقد أصبحنا أكثر انعزالاً بعد فقدكم، صارت الحياة كثيبة في أعيننا، صار كل شيء يعطس اللاشيء، الشعور مخدّراً، وأوتار البهجات ممزقة، ولم يعد هناك متسع من الوقت لنشعر بالسعادة بعدكم، فكل وقتنا، منهمك في التفكير بكم، معاذ الله نكون اعترضنا على قضاء الله وقدره، ولكنها والله مؤلمة حقيقة فقدكم، تنحت في الفؤاد ندوباً دامية، وكلما حاولنا تضييدها بالتعايش، اخترقتنا أسهم الذكريات و الماضي، وبثت الأوجاع مجدداً في ثنايا قلوبنا، وتالله إن الفقد لمهلك، بل يجلب الرغبة في أن نصبح مثلكم مفقودين لا فاقدين، على أن نعيش هذا الشعور القاتل كل يوم بعدكم.

سلام الله عليكم فقد تريتكم تحت الثرى، ونحن اندفنا تحت ثرى الأحزان، وصرنا لا نبتغي شيئاً سوى أن نلتقيكم، أو نراكم لو للحظة في المنام. وصرنا نرى أطيافكم في الأبواب حين تطرقونها فنفتحها لكم، في النوافذ حين تطلون علينا منها، في الشاي، والصور القديمة، والثياب التي ما تزال تنوب عنكم حضوراً ورائحة، في الأماكن، والمزارع، والدكاكين والحارات، في كل لحظة من لحظات عمرنا، ما نزال نعيش معكم، فقدناكم جسداً، لكن أرواحكم حاضرة فينا دائماً، أصواتكم لم تعد موجودة اليوم بيننا، لكنها ما تزال قابضة في الذاكرة. وصلت إلى إحدى القبور لتجلس على ركبتيها واضعة رأسها على التراب الذي يتلحفه ذلك القبر حتى لامس وجنتها اليمنى،

"مالدينا"

وتمسح بيديها النحيلتين ببطء سارحة في أفكارها تجدف بدموعها إلى مرفأ نجاة، بدأت تبكي بصوت مرتفع ثم همست باختناق وهي تتأمل اسم منحوتة على تلك الشاهدة الحجرية: لقد اشتقت إلى أحضانك الدافئة.. أين أفرغ هذا الكبت الذي يغزو قلب زهرتك الذابلة.. إنني أشعر بالحزن والضيق، من يحس بي غيرك من؟!....
أتعرفين يا أمي، أخشى أن يموت أحداً أمامي..

ثم رفعت رأسها وهي توزع نظراتها على تلك الشواهد الأخرى بنشيج مسموع: أتعرفون شيئاً أيها الموتى، حين يموت شخصاً واحداً ويذهب إليكم، هكذا تتناثر أحزان فقدكم مرة أخرى بشكل مضاعف دفعة واحدة، ونضطر لحرق آلاف من الدموع ونحصد أضعافها تنهيدات.

تستفيق الأوجاع من غفوتها وتبدأ في سرد كل شيء يبقينا تحت لحاف الغصات نخشى سطوع الماضي أن يحرق عيون البقايا من شعورنا بالحياة.

وحين نحاول التغاضي والتعايش والتجاوز والتقبل تصفعنا حقيقة أن كل هذه الأشياء حين نأوي إليها تعد خيانة عظمى لكم.
وتالله أن الحرائق التي تنشب في الفؤاد تزداد اضطراباً كلما عطس الموت وخطف شخص آخر نعرفه ولا نعرفه .

ثم أعادت بصرها إلى قبر أمها لتقول باكية: وكيف ينسى الإنسان تلك الصرخة وتلك الفاجعة، كيف ينسى الحقيقة التي يرفضها حتى يفنى؟!!

حين تلفحنا سموم الاشتياق إليكم تُكوى جراح الحياة هذه إذ تبدو هيئنة مقارنة بالجراح التي أحدثها فقدكم كونها جراح مستحيلة الالتئام.

"مالدينا"

لا يشعر بطعنة الفقد يا أعزائي الموتي الكرام إلا من طرق الموت
بابه أو خلعه ثم خطف شخصًا كان يشاطر أهله الحياة بمنغصاتها
وأقذارها..

سمعت صوتًا من خلفها: تحدثينهم وكأنهم يسمعونك..
استدارت فإذا بشابة تبدو أصغر سنًا فأردفت مالدينا وهي
تمسح دموعها من وجهها وعينيها المحمرة المنتفخة إزاء البكاء: إنهم
يسمعوننا ويشعرون بنا حتى وإن لم نعي بذلك..
لم تعرفها تلك الشابة إجابة فغادرت بهدوء أما مالدينا فعادت
لوضع رأسها على القبر هامسة: أسوأ شيء ممكن أن يعيشه الإنسان
أن يكون ملاذه الوحيد الذي يستطيع فهمه وتفهمه، اعتناقه وإعادة
استدامته وترتيبه، شخصٌ لم يعد في الوجود، بل متريثٌ تحت الثرى
بسلام.

وقفت تمسح دموعها فقبلت الشاهدة لتقول قبل أن تغادر:
ولكن هذا لا يعني أن ابنتك سمحت للرياح أن تكسر غصنها أو
إحنائها يا أمي، لأنها تعرف جيدًا أنك تسمعينها، وهذا أملها الوحيد
الذي يدفعها للاستمرار مهما عصفت بها الحياة..

حين غادرت مالدينا المقبرة ودموعها تنجرف لمحت تلك الفتاة
التي قابلتها تجلس على إحدى مقاعدة الأرصفة، ولا تدري لماذا
توجهت إليها حتى وقفت أمامها، لم تعرفها اهتمامًا، فجلست بالقرب
منها ثم قالت بهدوء: عظم الله أجرا

الشابة سارحة بنظراتها في الفراغ: في أحلامنا..

مالدينا باستغراب: من مات لك.. من العزيز الذي فقدته
وأتيته لزيارته؟

الشابة بتبؤد: أنا!

مالدينا مستغربة: نعم!!

"مالدينا"

الشابة بملاحم متبلدة: ليس من الضرورة أن يكون لجميع الأموات مقابر، هناك أموات في الحياة مقبرتهم الوحيدة ((أنفسهم)).
مالدينا: ...

تحدث الفتاة بطريقة مسهبة فجأة: اكتشفت السبب الحقيقي في دخولي إلى حالة الكآبة وتلك الغربة في الخيال هي المحاولة في تخييط جراح الآخرين والاستماع إلى فضفضة هذا وذاك، ومواساة هذا وذاك، والمحاولة في إسعاد هذا وذاك، والاقتراب من كل الأشخاص الذين يشعرون بالوحدة والمحاولة في بث الحياة الحقيقية من جديد. تسربت أحزانهم وكآبتهم إليّ تدريجيًا، وحاوطني همومهم بل فتكت بالنقطة الإيجابية التي تمكث في داخلي. حاولت إشغال نفسي بقراءة الكتب، كتب في علم النفس والخيال العلمي والماورائيات.. وهذا ما زاد الطين بلة، بل جعلني أكثر ابتعادًا أكثر خوفًا. الخوف من كل شيء، القلق والارتياب، من قطرات الماء حين تقطر ببطء من الصنابير، من الأضواء في الليل، من أصوات أهل المنزل حين تصطك ببعضها، من صوت باب بيتنا حين يطرقه أحد، من صوت الحذاء حين يمشي بها أحد على بلاط ما فتحدث صوتًا مقلقًا يشبه الذبذبة. أخاف من الناس الكثيرة، أشعر بالراحة والتحرر فقط عندما يخلو المنزل من أهله، أمسك الكتب لأذاكر ولا أشعر بنفسي ولا في الوقت إلا قد مر وأنا ما أزال عند أول صفحة، كلما حاولت المذاكرة سلبني الخيال من واقعي وسرق وقتي من جيب فرصي، بطريقة ما صارت الناس عدوة لي دون أن تفعل شيئًا يؤذني، صرت أهدق في السقف لأوقات طويلة، في الأشياء التي تدور كالمروحة، أبحث عن شيء ما، شيء ما يسكت هذه الجلبة التي ترتعد في رأسي لكن دون جدوى. أصبحت أنسى أشياء كثيرة، أنسى المعلومات، الأسماء المواقف، حتى بالأمس حين كان المعلم يسألنا

"مالدينا"

عن بعض المعلومات، كنت أعرفها تماما. ولكنني بغتة أصبحت كامرأة عجوز اقترحها الخرف، لا أتذكر شيئا إلا القليل، في الامتحانات كنت أصب المعلومات بالحرف الواحد، بفاصلتها ونقطتها حتى، في الامتحانين الأخيرين جاء سؤال سهل حفظته كاسمي وما إن حاولت وضع الإجابة حتى تعطل عقلي كليا في تلك اللحظة، شعور ساحق!! هناك أشخاص يعبثون بي من الداخل، يعكرون صفوي إن قررت أن أصبح الفتاة المزهرة القديمة، المبتهجة الإيجابية، يعيدون تكرار أيام العثرات مرارا وتكرارا في رأسي، يجلدون ذاتي إن ضحكت أو شعرت بالسعادة كأن يقولوا: لا تنسي أنك بالأمس خسرت كذا وفقدت كذا ولم تنجحي بكذا وكذا... ما يزال الأصدقاء كلما التقينا يصبون جام أحزانهم وتذمراتهم الواهية من الحياة أمامي، دون أن يعرفوا أن هناك صراع يقام في داخلي.. وما يزال أغلب من يعرفني يسأل لماذا تغيرت هكذا، أصبحت منطفئة ما من صوت لك، وأكتفي بعدم الرد وأعبر ويقولون: تكبرت!! في الحقيقة لا أدري لماذا أقول كل هذا الآن، لا أدري حقًا، لكنني أيضًا لا أريد مقابلة مستشار نفسي لأنني أعرف تمامًا ما الذي سيقوله، ولا أريد الذهاب إلى أي أحد لأن ما أعانيه لا علاقة له بتلك الأمور التي سيقولها، ولا أريد إخبار هذا لأحد آخر لأنني لن أجد ردا شافيا.. ولا أريد منك أن تقحمي نفسك في مأزقي هذا، لأنك يجب أن تنسي ما قلته ما إن أغادر. شكرا لإنصائك ..

حملت الفتاة حقيبتها ثم غادرت بخطوات متسارعة حتى تلاشت بين أنفاس الضباب وقد بدأ اللي يهبط على المدينة .
مالدينا محاولة في استيعاب ما سمعته للتو بصدمة: هل كانت تتحدث عني!؟

"مالدينا"

في اليوم التالي كانت مالدينا تنتظر ثناء د. بينرال لما قدمته بشأن تلك القضية، كونها درست الأمر من أوله إلى آخره ولكنها تفاجأت بما لم تتوقعه إطلاقاً.. فقد سمعت صافرة الإسعاف للمرة الثانية لتولول لتغمغم مالدينا بصدمة واضحة كفها على فمها حين رأت المرأة التي ينقلونها من سيارة الأسعاف: راندا!

أسرعت إليهم بينما يدفعون السرير ذا العجلات إلى قسم الطوارئ ثم صرخت في زوج راندا الذي كان يجري معهم: ما الذي جرى لها!!

زوجها بصياح ودموعه تنهمر ورأسه ما زال مضمداً: حدث كل هذا بسببك أنتِ، لقد علم أهل القرية كلهم بما حدث معها، وأنها أجهضت وادّعت أنني لست زوجها.. فقامت بشنق نفسها بسببك أيتها اللعينة.. بسبب تنمرهم عليها بالكلام السخيف والمُهين.

دخلت مالدينا مصعوقة إلى قسم الطوارئ للقيام باللازم مع أن راندا متورمة مزرقّة ولسانها بارز وأظافرها وشفاهها مزرقّة، وهناك نزيف يخرج من أنفها وأذنيها وبقايا اللعاب تتدفق على جانبي فمها.. أوقفهم د. بينرال بصوته قبل أن يجهزوا جهاز الصدمة الكهربائية: توقفوا.. المرأة ميتة فعينها جاحظتين لم يعد بإمكانكم فعل شيء.

مالدينا بانهايار: ولكن!!

د. بينرال: انتهى الأمر.. خذوها إلى غرفة الموتى ريثما يأتي فريق التحقيق.. وأنتِ اتبعيني يا مالدينا.

ألقت مالدينا نظرتها الأخيرة على راندا ثم تبعت د. بينرال بأعين ممتلئة بالدموع تهمس لنفسها بملاح متبلدة مصدومة وهي تمشي خلفه بالكاد تحملها أقدامه المرتجفة: هل من الممكن أن يعيش المرء مخاوفه بهذه السرعة يا أمي!!

"مالدينا"

حاول زوج راندا في الهجوم على مالدينا لكن رجال الشرطة أوقفوه وأخرجوه إلى الخارج..

دخلت إلى مكتب د. بينرال الذي قال: لقد فعلت اللازم، اطلعت على جميع الخطوات التي اتخذتها، وكان هذا سيعفيك تمام الإعفاء عن طردك.. ولكنك اقترفت خطأ فادحاً جداً.. أخبريني يا مالدينا.. هل هناك أحد غيرك يعرف بما حدث لراندا؟

تذكرت مالدينا أنه لا يوجد سوى د. ويلمن وأختها تولا يعرفان بالأمر.. وكون د. ويلمن طبيباً شرعياً فإنه لن يفصح لأحد مهما حدث.. لكن أختها تولا.. نعم أختها تولا.. لقد قال زوج راندا أن كل أهل القرية عرفوا بالأمر.. هذا يعني أن تولا أفصحت ما حدث لأحد ما فأفشى الخبر للجميع..

د. بينرال: أراك صمت!!

مالدينا وهي تشعر بالضيق: في الحقيقة...

د. بينرال مقاطعاً: هناك فرصة أخيرة.. أخيرة للغاية، يجب أن نعرف فيما إن كانت تلك الفتاة قد ماتت شنقاً كما ادّعى زوجها.. أم خنقاً!!.. إن ماتت خنقاً فهذا لصالحك، ولكن إن ماتت شنقاً بسبب التمر الذي سببه لها أهل القرية ثم انتحرت، فهذا يحتم طردك، ليس من هنا فقط، بل من كل المراكز الطبية.. في كل مكان.. سوف تخسرين شهادتك الطبية يا مالدينا!!

غادرت مالدينا مكتب د. بينرال ثم قامت بالاتصال بد. ويلمن وهي تجهش بالبكاء: لقد انتهيت.. انتهيت يا د. ويلمن

د. ويلمن: ما الأمر.. لماذا تبكين.. ماذا جرى!؟

قصت مالدينا لد. ويلمن كل ما جرى ثم شعر بالأسف لأجلها . لكنه في الوقت ذاته حاول تعزيز ثقتها بنفسها فقال مشجعاً: اسمعي يا مالدينا.. لقد فعلت الكثير لأجل تلك المرأة.. ولكن لا تيأسي، ولا

"مالدينا"

تستسلمي ببساطة.. قد يكون ذلك اللعين زوجها هو الذي قتلها خنقاً ويدعي أنها شنقت نفسها.. ثم أين العقل الذي يستوعب كل هذه الهرطقة، ليس من المعقول أن تشيع شائعة كهذه بهذه السرعة وخلال ساعات قليلة من خروجها، إنه اقتنص فرصة ادعاءه تنمر أهل القرية عليها في قتلها حتى يرد اللوم عليك.. لذا، انطلقى الان إلى حجرة الموتى.. وسأخبرك كيف تتحققين من الأمر..

انطلقت مالدينا بالفعل بعد أن أخذت إذن الدخول من د. بينرال، ثم وصلت إلى جثة راندا التي ما زالت مغطاة بالكامل على سرير بارد..

د. ويلمن: هل وصلت

مالدينا بأطرافٍ مرتجفة: وصلت.. ولكني أرى بأن د. بينرال قد تعجل في الإقرار بموتها.

د. ويلمن: أصغي إلي جيداً إذن.. يجب أن تتأكّدي أولاً فيما إن كان الموت فورياً أم متأخراً أم مبكراً.. إن كان فورياً فما زال هناك أمل لإنعاشها..

مالدينا متوترة: كيف أعرف!؟

د. ويلمن: علامات الموت الفورية فقدان الإحساس، والتنفس، والدورة الدموية..

مالدينا: بالتأكيد ظهرت كل هذه العلامات

د. ويلمن: حسناً هذا لا يعني أنها لم تمت فالعلامات الفورية قد تندرج أيضاً مع العلامات المبكرة للموت فتكون من خلال تبريد الجسم، انعدام مطاطيته، وهناك أيضاً العلامات العينية، افتحي عينيها وانظري إليها جيداً، هل هناك توسع حدقة العين وثبوتها، فقدان منعكس القرنية وتعتمها، رخاوة كرة العين، تقطع الدم للأوعية الشبكية.

"مالدينا"

مالدينا بعد أن فتحت عيني الضحية وأضاءتها برأس قلم تضعه في جيبها: لقد وجدت بعض ما قلته، بالأخص توسع حدقة العين وثبوتها...

د. ويلمن: حسناً إذن، بالنسبة للعلامات المتأخرة فتحدث من خلال التفسخ (putrefaction) أو التشمع (Adipocere) أو التحلل (Mummification)..
مالدينا تتفحص جسد الضحية بخوف: لقد بدأت في التفسخ..

د. ويلمن: انظري إلى عنقها هل ترين علامة رباط على عنقها!

مالدينا تحرك عنق الضحية: نعم..

د. ويلمن: هل مرتفعة أعلى الحنجرة أم منخفضة!

مالدينا: منخفضة.

د. ويلمن: أفقية أم باتجاه نقطة تعليق!

مالدينا بقلق: إنها أفقية.. هل كل شيء جيد إلى الآن

د. ويلمن: انتظري.. هل علامة الرباط غير مكتملة حول

عنقها!

مالدينا بتوتر صمتت قليلاً..

د. ويلمن بصياح: مالدينا!!!

مالدينا ودموعها تنهمر: بلى بلى.. مكتملة.. هذا ليس جيد

أليس كذلك!!

د. ويلمن مكماً: ماذا عن الأخدود، هل منتظم محيط بكامل

الرقبة أم غير منتظم!

مالدينا بدموع غزيرة تتأمل جثة راندا المتخشبة: منتظم..

د. ويلمن: ماذا عن الانحدار الدموي.. انظري إلى أطرافها

العلوية والسفلية.. هل لونها أزرق داكن!!

"مالدينا"

مالدينا تنظر إلى أطراف راندا: ما من لون أزرق داكن..
صمت د. ويلمن قليلاً ثم أكمل: هناك أمر أخير فقط سيحسم
الأمر.. استدعي طبيباً أخصائياً للعظام فوراً..
مالدينا: لماذا؟!

د. ويلمن: فوراً
غادرت مالدينا المكان ثم عادت بعد دقائق مع أخصائي عظام
فرفعت الهاتف وهي تنشج وقد صار أنفها محمراً ثم سأله مرتجفة:
لقد أصبح هنا!!

د. ويلمن: جيد.. دعيه يرى الغضروف اللامي للجنة فيما إن
كانت هناك كسور في أحد أو كلا قرنيه أو قرني الغضروف الدرقي)
(The thyroid cartilage

استدارت مالدينا إلى الخلف منهارة على ركبتيها تبكي بأسى
بعدما طلبت من أخصائي العظام أن يقوم بما قاله د. ويلمن لها، وما إن
انتهى الأخصائي حتى قال: هناك كسور (fractures) على العظم
اللامي .

أمسكت مالدينا على رأسها ببكاء ثم اتصلت مرة أخرى بـ د.
ويلمن وهي تنشج: لقد وجد هناك كسراً في العظم اللامي .. هذا
يعني أنها ماتت شتقاً أليس كذلك..؟!
ثم واصلت البكاء..

حاول د. ويلمن تهدئتها بينما أخصائي العظام فقد أدى مهمته
وغادر المكان..

مالدينا: أخبرني عن النتيجة سأطرد أليس كذلك، لن أحقق
الحلم الذي سعت لأجله أليس كذلك..
د. ويلمن: لقد اقترفت خطأ فادحاً حين أخبرت أختك بما
حدث.. ولكن أنتن يا معشر النساء لا تستطعن السكوت.

"مالدينا"

مالدينا ببكاء: إذن حُسم الأمر وسأسجن وأُطرَد!!
د. ويلمن بتردد: في الحقيقة..

صمت قليلاً ثم صاحت مالدينا: في الحقيقة ماذا!!!!!!
د. ويلمن بصوت متأسف: أعتذر منك مالدينا.. كان يجب أن
أخبرك منذ بداية العلامات ولكن كان يجب أن أتأكد حتى النهاية..
مالدينا بصياح: يعني!!!

د. ويلمن: يعني...
ثم صمت مرة أخرى

مالدينا بصراخ ونفاذ صبر: يعني ماذا أخبرني..
د. ويلمن: يعني أن القضية لصالحك... فالعلامات تدل على أن
الضحية ماتت خنقاً لا شنقاً.. أي أن موتها جنائياً وليس انتحاراً.
تبلدت مالدينا من هول الصدمة حتى امتزجت مشاعرها بين
فرحة وبكاء، ثم أكمل د. ويلمن: ولكن حذاري مرة أخرى، تخبرني
أحدًا عن خصوصيات مرضاكِ مهما حدث حتى وإن كان من أقرب
الناس إليك..

مالدينا بهجة ودموعها تنهمر: لن أفعلها لن أفعلها مرة أخرى
أعدك..

د. ويلمن: مهلاً مالدينا.. تأكدي من شيء آخر مهم للغاية
نسيناه.

مالدينا: ماذا!؟

د. ويلمن: تفحّصي هل من انحدار دموي على منطقة معينة
من جسدها.

مالدينا بخوف: هل هناك أمر آخر سيعيد العاقبة علي؟!
د. ويلمن: تأكدي أولاً..

"مالدينا"

نهضت مالدينا نحو الجثة خائفة ثم اقتربت منها فهمست: نعم، هناك انحدار دموي على ظهرها إلى أردافها حتى أقدامها من الأسفل حسب وضعية استلقائها على ظهرها..

د. ويلمن: ماذا عن جسدها هل يبدو متصلباً؟

مالدينا: متصلبٌ تماماً.

د. ويلمن:

مالدينا: ماذا!!

د. ويلمن: القضية أصبحت لصالحك أكثر

مالدينا ببهجة: ماذا تعني بهذا

د. ويلمن: لقد ظهرت عليها علامات الانحدار الدموي والصلل الرمي، واللذين يحددان تشخيص الوفاة ومعرفة زمنها ووضعية الجثة بعد الموت، لو أنها ماتت معلقة شنعاً لكان الانحدار في أطرافها السفلية ولكن بما إنها عكس ذلك فقد ألقى بها على الأرض بعد خنقها.

مالدينا تقضم أظافرها متوترة: هل بإمكاننا تحديد الزمن إذًا للانحدار الدموي والصلل الرمي؟!

د. ويلمن: الصلل الرمي يعتبر من مراحل الموت الخلوي لعضلات الجسم، بالتالي فإن الارتخاء يمر عبر مرحلتين، المرحلة الأولى تبدأ من خلال الساعتين الأولى ويستمر حتى 12 ساعة، بينما الثانوي فيبدأ بالزوال التدريجي بعد 36 ساعة نهائيًا ومن هنا تبدأ الجثة في التفسخ وظهور علامات الموت المتأخرة..

مالدينا: إذن لو كانت حقًا كما ادّعى زوجها بأنها قد شنقت نفسها لما تأخر كل هذا الوقت في إسعافها، لكان أسعفها على الفور قبل أن تتخشب وينحدر دمها!!!

"مالدينا"

زفر د. ويلمن نفسا ثم قال: بالضبط.. هيا، انطلقى إذن إلى دكتورك المجنون د. بينرال وأخبريه بالعلامات التي رأيته والتي تؤكد أن الضحية ماتت خنقًا لا شنقًا حتى يقوم فريق التحقيق وفريق الطب الشرعي للقضايا الجنائية في دراسة هذا الأمر.. وتواصلني أنت في تحقيق حلمك.. مع الكثير من الدقة والحذر في كل خطوة من حياتك العملية.. بالتوفيق يا مالدينا..

مالدينا بامتنان: أشكرك تمام الشكر يا دكتور العظيم.. لن أنسى ما فعلته لأجل طالبتك الشقية.. أتعرف شيئًا.. لقد تعلمت منك الكثير، الكثير من الأشياء التي لم تعلمني إياها الجامعة.. أغلقت الهاتف بسعادة أن المرأة لم تمت بسببها وبخزن أنها قُتلت قبل أن تعالجها وتنتشلها من مخالب ذلك الوحش..

بينما الدكتور ويلمن فقد ابتسم بعدما أغلق الخط بحسرة: يعزّ علي أنك تشبهيني في كل شيء، واهتمامي لك منذ أيام الجامعة كان يضيف نكهة فريدة لحياتي، وكنت مستعدًا دائمًا لتأجيل أي شيء والتخلي عن أي شيء مقابل التحدث إليك حتى وإن فتحت أبوابًا للحديث ليس لها أية صلة بمواضيع مقابلتنا.. أسفًا أن تكوني ابنتي، وبيننا هذا الحاجز الكبير رغم قربك مني.. كم أن أباك فخورٌ بك يا مالدينا!!

"مالدينا"

بعد أن أغلقت مالدينا الخط جلست على إحدى الزوايا متكئة على الجدار ترفع رأسها باختناق ثم مددت ساقها وهي تتأمل الجدار المقابل ورائحة الموتى تطوف من حولها، تسالت دمعة من عينيها هامسة: كم تمنيت لو كان د.ويلمن أبًا لي يوما ما!!

ثم بدأت تتذكر أول مرة دخل إليهم د.ويلمن إلى القاعة، لإلقاء محاضرتة الأولى في مادة الطب الشرعي، يوزع ابتساماته قائلا: الذي يخشى الموت فيلرفع يده!

استغرب الطلبة سؤاله ولم يرفع أحدهم يده ثم قال بفكاهة: إذن السكوت علامة الرضا، كلكم تخشون الموت.

بدأ الطلبة يتهايمسون فيما بينهم باستغراب فعاد ليسأل: ما هو الموت الذي اتضح بأنكم جميعًا تخشونه؟!

فأجابت مالدينا بعد أن رفعت يدها مبتسمة بحماسة: "الموت يعني انتهاء الحياة، وينقسم إلى موت خلوي (جزيئي) وجسدي"

فأشار إلى أحد الطلبة قائلا: أخبرني يا بيماس دون أن تسألني كيف عرفت اسمك، ما الفرق بين الموت الجسدي والخلوي؟

أجاب الطالب بدهشة: "موت الشخص نتيجة توقف جميع أعضاء جسمه توقفًا نهائيًا عن العمل.. هذا يعني بأن الموت جسديًا"

د.ويلمن يطوف على المصطبة الخشبية التي يشرح عليها مشيرًا بقلمه: الطالب (سيمران) سيخبرنا الآن كيف بإمكاننا التحقق من أن الشخص مات جسديًا..

وقف طالب هزيل مبتسما بتعجب: "توقف القلب، توقف التنفس، توقف نشاط الدماغ"

د.ويلمن مشيرًا إلى إحدى المقاعد الخلفية: اللطيفة (كارا)، هل ينتهي الموت الجسدي بالموت الخلوي أم العكس؟!

"مالدينا"

كارا بنجل مرتبكة: لا، أعتقد هذا صحيح، " ينتهي الموت الجسدي بالموت الخلوي "

د.ويلمن مصفقا بحرارة: يا لروعتكم أيها الطلاب أنتم تدهشونني، هيا يا (ليو) حدثني عن الموت الخلوي..

وقف طالب سمين يجلس على إحدى المقاعد الأمامية: "الموت الخلوي أو الموت الجسدي عبارة عن موت خلايا الجسم التي تتمكن من الاستمرار في الحياة على مخزونها من الأكسجين إلى أن ينتهي هذا المخزون، تموت الخلايا في مدة زمنية أقلها ساعة واحدة وأقصاها أربع ساعات، وينتهي الموت الخلوي بعدم استجابة الأنسجة والعضلات للإثارة الكهربائية أو الحرارية أو الكيميائية"

د.ويلمن مصفقا مرة أخرى: معلوماتك بدينة مثلك يا ليو..

ضحك الطلاب بينما خجل ليو فقال د.ويلمن محفزا: مدهش

يا ليو مدهش!

أوما ليو بنجل ثم قال د.ويلمن بحماسة: من المدهش منكم الذي سيخبرني ما هي الحياة الجزيئية؟

رفعت مالدينا يدها مرة أخرى فقال د.ويلمن ضاحكا: مالدينا

مرة أخرى... أجيبي هيا

مالدينا مبتسمة: "هي المدة الزمنية بين الموت الجسدي والموت الجزيئي والتي يمكن خلالها، أخذ العضو للزرع، تقلص العضلات نتيجة للإثارة الكهربائية، تفاعل حدقة العين بإضافة eserine أو atropine"

د.ويلمن مصفقا بحرارة: مدهش، مدهش!! الآن ليقف كل من

(طومسان) و (كالرس) والجميلة (روز) ..

وقف ثلاثة طلاب من صفوف ومقاعد مختلفة فنظر كل منهم

للآخر ليوجه د.ويلمن أسأله: روزا.. ذكرت زميلتك مالدينا أنه من

"مالدينا"

الممكن أخذ العضو للزرع في مرحلة الحياة الجزئية.. كم وقتا تستغرق الكلى حتى تموت.. أي ما الوقت المناسب للكلى للزراعة بعد الموت الجزئي.

روزا: تتم الزراعة للكلى بعد ٤٥ دقيقة كحد أقصى
د. ويلمن موجهها سؤال لطومسان: مدهش!! ماذا عن الكبد يا كارلس

كارلس: بعد 15 دقيقة.

صمت قليلا ثم وجه سؤاله الأخير طومسان الذي يبدو عليه
النعاس: والقلب يا طومسان
طومسان : ما به القلب

د.ويلمن ممازحًا: القلب يحن إليك يا صديقي
أطلق الطلاب ضحكة كبيرة ثم أردف طومسان كما لو لم يفهم
شيئا: ما الأمر!؟

د.ويلمن: عزيزي طومسان، بعد الموت الجسدي وفي أثناء
الحياة الجزئية قد تتم زراعة بعض الأعضاء، ذكر زميلاك اثنان منها،
حدّد لي الدقائق المناسبة لزراعة القلب بعد الموت الجزئي.
طومسان مفكرًا ثم قال ببلادة: خمس دقائق.

أطلق الطلاب ضحكة قوية مرة أخرى ثم نظر إليهم د.ويلمن
بعتب فقال لطومسان: تعال إلي.

نزل طومسان عن مقعده في المدرج الثالث وحين وصل إلى
د.ويلمن رسم له على السبورة رسمة القلب، ثم قال: اقسم القلب
نصفين.

جلبه قلم السبورة فقام بوضع خط مستقيم بين الأذين والبطين
الأيمن، والأذين والبطين الأيسر.

"مالدينا"

حمل عنه د.ويلمن القلم فقال: حسنا إذا، لنفترض أن حجرات القلب الأربع غرفا، كالغرف السكنية التي تقطنون بها معاً في الوقت الحالي، وكان هناك في كل غرفة ١٥ طالبا، كم يصبح مجموعكم في الأربع الغرف؟!

طومسان دون أي تفكير طويل مجيبا بسرعة: ٦٠ طالباً
د.ويلمن ملتفتا نحو الطلبة: إذن طومسان عبقرى رياضيات، لدينا أحفاد لأنشتاين هنا ويلكم لو يسخر منه أحداً مرة أخرى .
طومسان بحماسة قائلاً بابتسامة عريضة: في الستين الدقيقة الأولى تتم زراعة القلب

د.ويلمن يطبطب على رأسه بمزاح: يالك من عبقرى، طر إلى مكانك يا فتى.

عاد طومسان الذي لم يتعامل معه أحدا من قبل بتلك الطريقة المحفزة إلى مقعده ببهجة وظل مركزاً على تلك المحاضرة بل كان أكثر الطلبة الذين يشاركون د.ويلمن فيها حتى انتهت.

صحت مالدينا من سرحانها ثم مسحت تلك الدموع التي انزلت على خدها قائلة: بعض الآباء تتمنى لو بإمكانك تبنيهم لا أن يتبنوك.. ليت لو كان لي أبا كالدكتور ويلمن يوماً ما..
حملت هاتفها مرة أخرى ثم أجرت مكالمة هاتفية وشعوراً خائق يحث على صدرها فقالت بهدوء: د. ويلمن

د.ويلمن: مرحباً مالدينا، هل هناك مشكلة أخرى؟!

مالدينا مبتسمة وهي تمسح الدمعة التي انزلت من عينها اليسرى: ما من مشكلة لا تقلق. ولكن لدي سؤال أخير أختم به هذا اليوم الكئيب.

"مالدينا"

د.ويلمن: مالدينا.. هل أنت بخير؟! الأمور على ما يرام، لا تقلقي
يا ابنتي ..

أغمضت مالدينا عينيها حين قال " ابنتي " حتى حاولت كبت
شهقتها فقالت: ما هو الاكتئاب يا أب..

بترت جملتها قبل أن تكملها ثم قال د.ويلمن وكأنه أحس بأنها
ليست بخير: مالدينا.. هل تسمعينني..

استجمعت قوتها فسألت: حدثني عن الاكتئاب يادكتور
ويلمن..

د.ويلمن بتعاطف: ما مناسبة سؤالك هذا الآن؟

مالدينا: ما من مناسبة..

د. ويلمن: إذن؟

مالدينا: حسناً إن لم ترغب في ذلك لا مشكلة.. إلى اللقاء،
أعتذر عن إزعاجك.

د.ويلمن: ما الذي تقولينه يا فتاة..

مالدينا:.....

تنهّد د.ويلمن ثم قال: "الاكتئاب أو كما هو معروف
(الاضطراب الاكتئابي) يعتبر اضطراب نفسي شائع يصيب النفس
والجسد، بحيث يؤدي إلى تكدر المزاج، والتأثير على السلوك
والتصرفات، والمشاكل الجسدية والعاطفية، وفقدان الرغبة في
ممارسة الكثير من الأنشطة، ويعتبر أكثر الأمراض النفسية شيوعاً
بحيث تشير التقديرات إلى أن 5% من البالغين في العالم يعانون من
الاكتئاب، وكما أن النساء أكثر عرضة من الرجال للإصابة به، بحيث
تقدر إصابة الرجال 4% والنساء 6% بينما الأشخاص الذين تقدر
أعمارهم ستون عاماً فما فوق، فإنها تُقدر إصابتهم بنسبة 5,7 % ..
مالدينا: ...

"مالدينا"

أكمل د.ويلمن: ضعف التركيز، اليأس من المستقبل، اضطرابات النوم، الإحساس بقلّة القيمة والتعب والوهن والعصبية، مشاكل جسدية كالصداع وآلم الظهر، والتفكير في الموت أو الانتحار. كل هذه الأشياء تعتبر من العلامات التي تدل على أن الشخص مريض اكتئاب..

مالدينا: ...

د.ويلمن: هذه ليست من عادتك مالدينا.. أنتِ تحبين طرح الكثير من الأسئلة ولكني أراك صامتة.

مالدينا: أنا لست صامتة، بل منصّتة، بإمكانك الإكمال

د.ويلمن: هناك العديد من العوامل التي تؤدي إلى الإصابة بالاكتئاب، اجتماعية، وراثية، بيئية، بيوكيميائية، بيولوجية وغيرها.. وكما أن علماء النفس قد وضعوا معاييرًا لتشخيصه بحيث يتم تحديد فيما إن كان المرض اكتئابًا حادًا أو أمراض أخرى مرتبطة به، كاضطراب ثنائي القطب، واضطراب المزاج الدوري الذي يعد أحد أنواع اضطراب الأحكام بحيث يكون هناك رد فعل عاطفي حاد مرتبط بالتوتر النفسي مؤثرًا على السلوكيات والعواطف... وهناك أيضًا الاكتئاب الجزئي، اكتئاب النفس، اكتئاب الشتاء نتيجة قلة تعرض الشخص لأشعة الشمس، والاكتئاب الذهاني، والفصامي.

مالدينا:

د.ويلمن بنفاد صبر: مالدينا سآتي إليك في الحال

مالدينا: لماذا؟!

د.ويلمن: لأطمئن عليك

مالدينا: لا لالا، أنا بخير لا تقلق صدقني أنا بخير

د.ويلمن: أنتظرك في مقهى سانتوار إذن

مالدينا: لم تكمل حديثك بعد عن الاكتئاب!!

"مالدينا"

د.ويلمن: لأكمّله هناك..

مالدينا بهدوء: حسناً

د.ويلمن: مالدينا!!

مالدينا: أسمعك..

د.ويلمن متعاطفاً: هل أنت بخير يا ابنتي!!

مالدينا وتلك الكلمة تتردد في ذهنها: بخير بخير.. سأراك في

مقهى سانتورا بعد انتهاء الدوام.. إلى اللقاء.

نهضت محاولةً في استعادة رباطة جأشها ثم ما إن غادرت حجرة

الموتى وسارت قليلاً في الممر حتى وقف أمامها شخص ما بتجهم

وغضب، رأسه مضمد بشاشة بيضاء..وقد كان الشرر يقدح من

عينيه ثم رفع مسدساً وضغط على الزناد مباشرةً مطلقاً رصاصة على

مالدينا ثقتبت بطنها ورصاصة أخرى على أعلى صدرها .. لتسقط

والدماء تتدفق من جسدها.

مخرج

أظننا سنبقى عالقين هنا،
فما من مدخل ولا مخرج.

بإمكانك إدراك حقيقة الأشياء كما تتصورها في
ذهنك فقط، لذا قد تجهل تفاصيل كثيرة ذات
أهمية بالغة لم تُسلط ضوء تركيزك عليها، دون أن
تعي بأن النجاة كامنة فيها، والحلول لألغازك
المنسوجة كشبكة العنكبوت تختبئ خلف خيوطها،
ويعز عليك بأنك لا تكتشف هذا إلا مؤخرًا، بعد
أن يفوت الأوان تمامًا.

نعمة الخالد